روايات مصرية للجيب

قضية شرطي المرور

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناشئين

مغامرات ع × ٢

٢٢

Looloo
www.dvd4arab.com

١ ــ مصرع شرطىّ ..

توقَّفت حافلة عامة فى ميدان صغير ، يتوسَّط أحد أحياء (القاهرة) الهادئة ، وهبط منها رجل ضئيل الجسد ، كثّ الشَّارب ، يرتدى حُلَّة رسميَّة ، ذات أزرار لامعة ، تشير فى وضوح إلى أنه يعمل فى سلك الشُّرطة ، وغطاء رأس رسمى ، تبدو من أسفله خصلات شعره الأشيب القصير ، ومسح فى زهو على تلك الشَّارة الملتفَّة حول ذراعه ، والتى تؤكد أنَّه شرطىّ مرور ، ثم اتجه فى خطوات هادئة رصينة إلى منتصف الميدان ، حيث يقف من السابعة صباحًا ، وحتى الثالثة عصرًا ، مؤدِّيًا عمله ؛ لتنظيم حركة السير والمرور ، فى تلك البقعة التى تلتقى عندها طرق الحىّ .

وكانت ابتسامة (شرطىّ المرور) الهادئة تملأ وجهه ، وتشفّ عن طيبته وسعة صدره ، وهو يجيب تحية الصغار ، الذين اعتادوا رؤيته كل صباح ، وألفوا معاونته لهم ، بإيقاف السيَّارات ، حينما يعبُرون الطرق فى طريقهم إلى مدارسهم ..

كانت الأمور تبدو تقليدية معتادة إلى أن حدث ما حدث ..

كان (سليمان) (شرطى المرور) قد وصل تقريبًا إلى الجزيرة الصغيرة ، التى تتوسَّط الميدان ، واستعدَّ لبدء عمله اليومى ، حينما فوجئ به الجميع يتوقَّف فجأة ، وتتسع عيناه فى دهشة وذُعْر ، وهو يهتف :

ــ ياإلٰهى !!

توقَّف الجميع فى دهشة ، والتفتوا نحو (سليمان) فى حَيْرة ، وهم يتساءلون عن مغزى ذُعره ودَهْشته ، فسمعوه يستطرد فى جزع :

ــ كلَّا .. كلَّا .. هذا خطأ ..

ثم رأوه يندفع فجأة نحو جراج (الڤيلَّا) المقابلة له ، ويغيب داخله ، وهو يصيح فى لهجة تجمع ما بين الجَزع والغضب :

ــ لا يمكنك أن تفعل هذا .

وفجأة .. ارتفع صوت محرك سيَّارة ، أعقبه صوت ارتطام مخيف ، اختلط بصرخة ألم ودهشة ، ميَّز فيها الجميع صوت (سليمان) .. (شرطىّ المرور) ..

مضت لحظة من الذهول ، تسمَّر فيها الجميع ، ثم اندفع

العشرات نحو جراج (الڤيلا) .. ولم تكد أقدامهم تصل بهم إلى هناك ، حتى عاودهم التسمُّر ، وتعلَّقت عيونهم الملتاعة بجسد (شرطىّ المرور) الضئيل ، الملقى تحت عجلات السيَّارة ، التى توقَّف محرِّكها ، وظلَّت أضواؤها مضاءة ، وهتف أحد الحاضرين فى جَزع :

ــ لقد صدمته السيَّارة .. اطلبوا الإسعاف .

فى حين اندفع البعض يحاولون إسعاف الشُّرطى ، ودار البعض الآخر بعيونهم فى المكان ، وهتف أحدهم فى توتُّر :

ــ ولكن السيَّارة بلا سائق ، ولا يوجد أحد هنا .

صاح به آخر فى حَنَق :

ــ ماذا تَعْنى بالله عليك ؟.. هل انطلقت السيَّارة ، وصدمته وحدها .

هزَّ الأوَّل رأسه فى حَيْرة وخوف ، وهو يدير عينيه فى المكان مرَّة أخرى ، على حين ارتفع صوت يهتف :

ــ هل طلب أحدكم الإسعاف ؟

نهض أحد الرجال ، الذين كانوا يحاولون إسعاف الشرطىّ ، وقال فى حزن وأسف :

ــ من الأفضل أن نطلب حضور رجال الشُّرطة .

شحبت الوجوه ، وخفقت القلوب ، وغمغم صوت بين الحاضرين :

ـ لماذا ؟.. هل ؟.. هل ..؟

أجابه صاحب القول ، دون أن ينتظر انتهاء السؤال :

ـ نعم .. لقد قُتِلَ عمٌ (سليمان) .. لقد لقى شرطىّ المرور مصرعه ..

* * *

جفَّف (شوقى) ، صاحب (الڤيلَّا) ، التى وقع فى جراجها الحادث ، عرقه ، وهو يقول للعقيد (خيرى) فى توتُّر شديد :

ـ ولكن هذا مستحيل ياسيادة العقيد !.. السيَّارة لن تنطلق وحدها بالطبع ، ولم يقدها أحدنا .

تأمَّله العقيد (خيرى) فى هدوء ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ إننى أوافقك على أن السيَّارة لم تنطلق وحدها ياسيّد (شوقى) ، لكن كيف تبرِّر ماحدث ؟.. لقد أصابت سيارتك شرطىّ المرور ، داخل جراجك الخاص ، وشهد العشرات أنهم سمعوا صوت محرِّكها يدور ، قبل أن تصدم الشرطىّ المسكين ، ثم إن أحدًا من الشهود لم يشاهد شخصًا يغادر الجراج ، ولقد هُرِعُوا كلهم إليه فور الحادث ، فأين ذهب سائق السيَّارة ، الذى قتل الشُّرطى ؟

قلَّب (شوقى) كفَّيه ، وبدا صورة كاملة للتوتُّر والانفعال ، وهو يقول :

ـ وكيف لى أن أعرف ذلك ، لقد سمعت صراخ المارَّة ، وأسرعت أستعلم عمَّا حدث ، فأخبرونى أن سيارتى قد صدمت شرطىّ المرور وقتلته ؟

سأله العقيد (خيرى) فى هدوء :

ـ وأين كنت ، حينما وقع الحادث ؟

أجابه فى توتُّر :

ـ فى فراشى ، فالساعة لم تكن قد جاوزت السابعة بعد ، وأنا أستيقظ عادةً فى السابعة والنصف .

أشار العقيد (خيرى) إلى باب صغير فى نهاية الجراج ، وسأله :

ـ إلى أين يقود هذا الباب ؟

أجابه (شوقى) فى توتُّر :

ـ إلى داخل (الڤيلَّا) .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يفكِّر فى عمق ، قبل أن يسأله :

ـ وهل كان مغلقًا أم مفتوحًا ، عندما وقع الحادث ؟

أجابه (شوق) :

ـ لست أدرى .

سأله العقيد (خيرى) فى حِدَّة :

ـ ماذا تَعْنى بأنك لست تدرى ؟

هتف (شوق) فى عصبيَّة :

ـ لست أعنى سوى ماقلت ، لقد كان الموقف شديد التوتُّر ، حتى أننى لم أنتبه إلى كون الباب مفتوحًا أم مغلقًا .

ارتفع فجأة صوت هادئ يقول :

ـ كان مغلقًا يا سيادة العقيد .

التفت العقيد (خيرى) والأستاذ (شوق) إلى مصدر الصوت ، وتنهَّد الأوَّل فى ضجر ، وهو يقول :

ـ وكيف عرفت ذلك يا أستاذ (عصام) ؟

ابتسم الصحفى (عصام كامل) ، وهو يدلف إلى الجراج ، مجيبًا :

ـ لقد سألت شهود الحادث ياسيادة العقيد .

ثم تقدَّم نحو (شوق) ، وصافحه مستطردًا ، ومقدِّمًا نفسه :

ـ (عصام كامل) .. صحفى بقسم الحوادث .

شحب وجه (شوق) فى شدَّة ، وهو يحدِّق فى وجه (عصام) ، مغمغمًا فى ذُعر لم تخطئه أذنا (عصام) ، أو العقيد (خيرى) :

ـ (عصام كامل) ؟!

زَوَى العقيد (خيرى) مابين حاجبيه ، وهو يسأله :

ـ هل تعرفه ؟

تردَّد (شوق) لحظة ، ثم أجاب فى توتُّر :

ـ بالطبع .. من ذا الذى لا يعرف (عصام كامل) ، عبقرىَ الألغاز البوليسية ؟

ابتسم العقيد (خيرى) فى سخرية ، وهو يختلس النظر إلى (عصام) ، مغمغمًا :

ـ نعم .. من ذا الذى لا يعرف عبقرىَ الألغاز البوليسيَّة ؟

احتقن وجه (عصام) حَنَقًا ، وتجاهل مغزى ذلك التعليق اللاذع ، وهو يسأل (شوق) :

ـ من غيرك ، من المقيمين بـ (القيلًا) ، يمكنه قيادة السيَّارة ؟

ارتبك (شوق) ، وهو يجيب :

ـ إن لى ثلاثة أبناء وبنتًا واحدة ، وزوجتى متوفَّاه و ..

قاطعه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـ هذا لا يجيب عن السؤال .

ازداد ارتباك (شوقى) ، وأخذ يجفِّف عرقًا وهميًا عن جبينه ، وهو يقول :

ـ ابنى الأكبر (أيمن) يقود السيَّارة دَوْمًا .. وابنى الأوسط (وائل) يمكنه قيادتها ، ولكنه لم يبلغ السن القانونية ، لاستخراج ترخيص القيادة بعد .. أما ابنتى (لبنى) ، فهى تخشى قيادة السيَّارات .. وابنى الأصغر (سامح) مايزال فى العاشرة من عمره فحسب .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى توتُّر :

ـ شقيقى (على) أيضًا يمكنه قيادة السيَّارة ، ولكنه يقود سيارته الخاصَّة ، ولا حاجة به لاستخدام سيارتى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ أيقيم شقيقك (على) معك فى نفس (الڤيلَّا) ؟

عاد (شوقى) يجفِّف عرقه الوهمىّ ، وهو يغمغم :

ـ منذ أمس فقط ، فقد أتى من بلدتنا (أسيوط) لزيارتنا ، وكان من المفروض أن يعود إلى هناك مساء اليوم .

التقى حاجبا (عصام) ، وهو يغمغم ، فى لهجة جذبت انتباه العقيد (خيرى) فى شِدَّة :

ـ من أسيوط ؟!

التفت إليه العقيد (خيرى) ، وسأله فى حِدَّة :

ـ لماذا يثير هذا الأمر دهشتك إلى هذا الحدّ ؟

تطلَّع إليه (عصام) فى صمت ، ثم أجاب :

ـ لقد التقيت بشهود الحادث ، قبل أن ألتقى بك يا سيادة العقيد ، وعلمت من بعضهم أن مسقط رأس شرطىّ المرور القتيل ، هو (أسيوط) أيضًا :

غمغم العقيد (خيرى) فى انفعال :

ـ يا إلهى !!.. هل تشير إلى ..؟

لم يدعه (عصام) يتمّ تساؤله ، فقد قال فى حزم :

ـ نعم يا سيادة العقيد .. إننى أشمّ رائحة جريمة ثأر ..

* * *

٢ ــ قضية فريق ..

« جريمة ثأر ؟!! » ..

صاح (على) ، شقيق صاحب (القيلًا) ، بهذه العبارة ، على نحو يمتزج فيه الاستنكار بالغضب والدهشة ، وبدا شديد السخط والحَنَق ، وهو يلوّح بذراعيه فى قوّة ، مستطردًا :

ــ من أوحى لكم بهذه الفكرة السخيفة الحمقاء ؟

كانوا يقفون جميعًا فى رَدْهَة (القيلًا) .. (شوقى) وشقيقه (على) ، وأولاده : (أيمن) و(وائل) و(سامح) وابنته (لبنى) ، والعقيد (خيرى) ، و(عصام) ، ولقد بدا الضيق على وجوه الجميع ، حتى (عصام) ، وهو يجيب :

ــ أنا يا أستاذ (على) .. أنا صاحب هذه الفكرة .

حَدجَه (على) بنظرة غاضبة ساخطة ، قبل أن يهتف :

ــ ومن وضعها فى رأسك أيها الغبىّ ؟

ابتلع (عصام) الإهانة ، وهو يقول فى برود :

ــ تَوَافُقُ الأحداثَ ، ومنطقيّتها يا سيِّد (على) ،

فشرطىّ المرور من (أسيوط) ، وكذلك أنت .. ولقد جئت لزيارة شقيقك وأسرته أمس ، ثم لقى الشرطىّ مصرعه صباح اليوم و ...

قاطعه (على) فى حِدَّة :

ــ ومن الضرورى ، بالنسبة لمنطقك المريض ، أن أكون أنا قاتله ..أليس كذلك ؟

هتف (عصام) فى تحدٍّ :

ــ بلَى ..

احتقن وجه (على) غضبًا ، وباتَ من الواضح أنه سينفجر فى وجه (عصام) ، لولا أن أسرع العقيد (خيرى) يقول فى صرامة :

ــ اهدأ يا سيِّد (على) .. إن وقت توجيه الاتهام لم يبدأ بعد .

ثم التفت إلى (عصام) مستطردًا فى حَزْم :

ــ ولن يتدخَّل الأستاذ (عصام) فى التحقيق بعد الآن .

عقد (عصام) حاجبيه فى غضب ، على حين عاد العقيد (خيرى) يواجه سكّان (القيلًا) ، وهو يردف :

ــ إن هذه القضية أيها السادة تبدو بسيطة ومعقَّدة فى آن

واحد ، فلقد قُتل شرطىّ المرور فى وضح النهار ، وأمام أعين عشرات الشهود ، ومارآه هؤلاء الشهود يؤكّد أنه قد قُتِلَ بواسطة سيارتكم ، وداخل جراجكم الخاص .. ولكن أحدًا لم ير وجه الشخص ، الذى كان يقود السيارة .. ومن الواضح أن مصرع شرطىّ المرور قد أصاب القاتل بالفزع ، فأسرع يعبُر الباب الجانبى للجراج إلى داخل (القيلًا) ، وأوصده خلفه .

غمغم (عصام) :

ــ أو أن هذه كانت خُطَّته من البداية .

حَدَجه العقيد (خيرى) بنظرة صارمة ، ثم عاد يستطرد فى حَزْم :

ــ هذا ماتؤكّده كل الشواهد ، فنحن نتّفق جميعًا على أن السيَّارة لم تنطلق من تلقاء نفسها ، وعلى أن الجراج كان خاليًا ، حينما وصل الشهود إليه ، وأن الوسيلة الوحيدة لمغادرته هى إلى داخل (القيلًا) ، وليس إلى خارجها ، وهذا يقودنا ــ فى اختصار ووضوح ــ إلى أن القاتل هو أحدكم .

امتقعت وجوه الجميع ، حتى (سامح) الصغير ، فى حين غمغم (شوقى) فى اضطراب واضح :

ــ ليس هذا مؤكّدًا .

سأله العقيد (خيرى) فى برود :

ــ هل لديك تفسير آخر ؟

تردَّد الرجل لحظة ، ثم اندفع يقول فجأة :

ــ ربَّما تسلَّل لصّ ما إلى حديقة (القيلًا) ، ومنها إلى الجراج ، وحاول سرقة السيَّارة ، وحينما رآه عمّ (سليمان) ، وحاول منعه ، صدمه اللصّ بالسيَّارة ، وفرَّ عَبْر باب الجراج الجانبىّ إلى الحديقة ، ومنها إلى الخارج .

أجابه العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ ولكن أحدًا لم يَرَ غريبًا يغادر (القيلًا) .

هتف (شوقى) فى توتُّر :

ــ ربَّما قفز من سور الحديقة الخلفى .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يفكّر فى هذا الاحتمال الجديد ، ثم قال فى بطء :

ــ ربَّما .

والتفت فجأة إلى الابن الأكبر (أيمن) ، يسأله :

ــ ما معلوماتك عن الحادث يا (أيمن) ؟

انتفض (أيمن) فجأة ، وامتقع وجهه ، وهو يقول فى اضطراب :

ـ لاشيء ياسيِّدى .. لاشيء .. لقد أيقظنى صوت دوران المحرِّك العنيف ، فأنا أميِّز صوت محرِّك سيارتنا جيِّدًا ، لاعتيادى قيادتها .. ولكننى تطلّعت إلى ساعتى ، فوجدتها تشير إلى السابعة والربع .. ولمَّا كان الوقت مبكِّرًا ، فلقد تصوَّرت أننى كنت أحلُم ، إلّا أننى سمعت صوت أقدام تتحرَّك فى سرعة ، فى البهو الذى يضمّ حجرات النوم ، فى الطابق العلوى ، فغادرت حجرتى ، لأستطلع الأمر ، فوجدت أبى يقف فى البهو ، وحينما سألته عمَّا حدث ، أخبرنى بأنه لم يحدث شيء ، وطلب منِّى أن أعود إلى نومى .. وقبل أن أعود دقَّ جرس الباب ، وجاء جارنا الأستاذ (مرسى) يخبرنا بما حدث .

رَانَ الصمت لحظة ، بعد أن أدلى (أيمن) بشهادته ، ثم التفت العقيد (خيرى) إلى (وائل) يسأله :

ـ وماذا عنك يا (وائل) ؟

هزَّ (وائل) كتفيه ، وقال فى توتُّر :

ـ معلوماتى تساوى صفرًا أيها العقيد ، فأنا من المصابين بداء النوم الثقيل ، ولم أسمع أو أرَ شيئاً ، حتى أيقظونى فى السابعة والنصف ، وأخبرونى بالحادث .

تنهَّد العقيد (خيرى) ، والتفت إلى (لبنى) يسألها :

ـ وأنت يا (لبنى) ؟

جفَّفت (لبنى) دموعها ، قبل أن تجيب :

ـ أنا أيضًا سمعت صوت محرِّك السيَّارة ، ولكننى لم أغادر فراشى ، فقد ظننت أن أبى أو (أيمن) يديرانها .. ولكنى حينما سمعت صوت جرس الباب ، نهضت من فراشى على الفور ، فليس مَن المعتاد أن يزورنا أحد فى هذا الوقت المبكِّر ، ولقد سمعت الأستاذ (مرسى) يخبر والدنا بالأمر .

وسالت من عينيها الدموع ، وهى تردف :

ـ لقد كان عمِّ (سليمان) رجُلا لطيفًا خيِّرًا ، وكان يحبّ (سامح) ، ويداعبه دائمًا .

أجهش (سامح) ببكاء حار ، وأخذ ينوح فى مرارة تنفطر لها القلوب ، فربَّتت شقيقته على رأسه فى حنان ، وهى تقول فى عطف :

ـ كلنا كنا نحب عمِّ (سليمان) يا (سامح) ، ولكنه القَدَر .. سنحزن جميعًا لما أصابه .

واصل (سامح) بكاءه فى حرارة ، فى حين قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

جففت (لبنى) دموعها ، قبل أن تجيب :

ـ أنا أيضًا سمعت صوت تحرّك السيارة ، ولكننى لم أغادر فراشى ..

ـ لا شأن للقدر بما حدث أيها السادة .. لقد قُتِلَ (شرطىّ المرور) بسبب أحدكم ، ولن ينتهى اليوم قبل أن أوقع بالقاتل .

شَحُبَتْ وجوه الجميع ، فى حين تحرّك (عصام) نحو الباب فى خطوات سريعة ، وهو يقول فى حزم :

ـ صدقْت يا سيادة العقيد .

سأله العقيد (خيرى) فى حِدَّة :

ـ إلى أين ؟

ابتسم وهو يجيب :

ـ سألتقى ببعض الأصدقاء أيها العقيد ، فهذه القضية تحتاج إلى تفكير عميق ، وإلى فريق بحث .

وخفت صوته حتى لم يسمعه سواه ، وهو يردف فى خبث :

ـ فريق (ع × ٢) ..

* * *

٣ ـ البحث ..

كانت مفاجأة (عماد) و(غُلا) أن يلتقيا بـ(عصام)، فى حجرة مدير المدرسة، فى أثناء فترة الفسحة المدرسية .. ولقد استقبلهما المدير فى مكتبه مبتسمًا، وهو يقول مشيرًا إلى (عصام):

ـ مرحبًا يا ولدىَّ .. الأستاذ (عصام) الصحفى الشهير يطلب مقابلتكما.

رحَّب الاثنان بـ (عصام) فى حرارة، فى حين ابتسم المدير، وهو يشير إلى ساعته، قائلًا:

ـ تذكَّر يا أستاذ (عصام) أن الفسحة تستغرق ربع ساعة فقط.

أومأ (عصام) برأسه، وهو يقول:

ـ سأتذكَّر ذلك يا سيِّدى.

ثم انتحى بـ (عماد) و(غُلا) ركنًا قصيًا، فى حجرة مكتب المدير الواسعة، ولم يكد يستقرّ بهم المقام، حتى سألته (غُلا) فى لهفة:

ـ أهى قضية جديدة؟

أومأ برأسه إيجابًا، ثم اندفع يَرْوِى لهما فى انفعال ما حدث، بالنسبة لقضية مصرع (شرطىّ المرور) واستمعا إليه فى اهتمام، حتى انتهى من روايته، فساد بينهم الصمت، وتبادل (عماد) و(غُلا) واحدة من نظراتهما الغامضة، التى تثير (عصام)، قبل أن يقول (عماد):

ـ إن هذه القضية مثيرة حقًّا يا أستاذ (عصام)، وأعتقد أننى أميل فيها إلى التفسير، الذى أدلى به الأستاذ (شوقى)، على الرغم من غرابته.

سأله (عصام) فى دهشة:

ـ أتقصد ذلك الخاص بوجود لصٍّ من خارج (القيلًا)؟!

أومأ (عماد) برأسه إيجابًا، وغمغمت (غُلا) فى اهتمام:

ـ نعم .. أنا أيضًا أراه أقرب التفسيرات مَنْطِقيَّةً.

هتف عصام فى استنكار:

ـ كيف؟!.. إن كل الدلائل، وأقوال الشهود تؤكِّد أن القاتل هو أحد المقيمين بـ (القيلًا)!!

ابتسمت (غُلا)، وهى تقول:

ـ على العكس يا أستاذ (عصام) ، لقد أهملت نقطة بالغة الأهمية فى أقوال الشهود .

سألها فى دهشة :

ـ أيَّة نقطة ؟!

أجابه (عماد) :

ـ لقد قال الشهود إن شرطىَّ المرور توقَّف فجأة ، وهو يتطلَّع إلى جراج (القيلًا) فى دهشة وجزَع ، وأنه قد هتف وهو يُهْرع إليه « هذا خطأ .. لايمكنك أن تفعل ذلك » ..

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرة :

ـ وماذا يعنىُ هذا ؟

تبادل (عماد) و(عُلا) نظراتهما الغامضة ، وابتسامة هادئة ، وقبل أن تجيب (عُلا) :

ـ إنه يَعْنى بكل بساطة ، أن الذى كان يقود السيَّارة فى تلك اللحظة ، ليس أحد ممن اعتادوا قيادتها ، حسبما رأى الشُرطى الصريع .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ يا إلهى !!.. إننى لم أنتبه إلى ذلك .

أسرع (عماد) يقول فى اهتمام :

ـ هناك نقاط عديدة لم ينتبه إليها أحد يا أستاذ (عصام) .

سأله (عصام) فى لهفة :

ـ مثل ماذا ؟

لوَّحت (عُلا) بكفِّها ، وهى تقول :

ـ البصمات على عجلة القيادة مثلًا ، وأقوال الأستاذ (مرسى) ، الذى أبلغ أصحاب (القيلًا) بالحادث ، والمقيمين حول القيلًا ، من السُكَّان الجُدد بالطبع .

وصمتت وهلة ، قبل أن تردف فى اهتمام :

ـ وحتى أقوال سكَّان القيلًا أنفسهم .

تنهَّد (عصام) ، وقال فى استسلام :

ـ حسنًا .. كيف يمكننا أن نبدأ بحثنا الخاص ؟

تبادل (عماد) و(عُلا) نظراتهما الغامضة مرَّة ثالثة ، قبل أن يقول (عماد) فى هدوء :

ـ سأخبرك يا أستاذ (عصام) .. سنخبرك أنا و(عُلا) كيف ..

* * *

تطلَّع بوَّاب البناية ، المجاورة لـ (قيلًا) (شوقى) إلى وجه (عصام) فى مزيج من الرِّيبة والدهشة ، قبل أن يَرْوِى ما بين حاجبيه الكثَّين ، وهو يقول فى حَذَر :

— لماذا تسأل عن الشقق المفروشة فى هذه البناية يا رجل ؟.. أتودّ أن تستأجر أحدها ؟

منحه (عصام) ابتسامة ودُودًا ، قبل أن يسأله فى هدوء :

— كلَّا .. ولكننى أبحث عن بعض أقاربى من (أسيوط) ، وأعتقد أنهم قد استأجروا واحدة من الشقق المفروشة فى المنطقة ، منذ أسبوع واحد أو أقل .

فتل البوَّاب شاربه الكثّ ، وهو يفكّر فى شك ، ثم اختلس نظرة إلى وجه (عصام) ، وهو يقول :

— أتقصد الأستاذ (وحيد مروان) وشقيقه (جلال) ؟

تألّقت عينا (عصام) وهو يقول :

— نعم .. إنهما هما .

هزَّ البوَّاب كتفيه ، وهو يقول :

— لقد استأجرا شقة فى الدور الثالث ، منذ ثلاثة أيام ، وأظن أنهما سيرحلان اليوم ، فلقد رأيتهما يعدّان حقائبهما هذا الصباح .

شعر (عصام) بالقلق ، وهو يسأله فى لهفة :

— لقد غادر أحدهما البناية مبكّرًا .. أليس كذلك ؟

مطَّ البوَّاب شفتيه الغليظتين فى ضجر ، وهو يجيب :

— كلَّا .. لقد استيقظا من نومهما متأخّرين .

كان (عصام) قد بذل مجهودًا كبيرًا ، حتى وصل إلى هذه النقطة ، فلقد مزج نظرية (شوق) ، التى مال إليها (عماد) و(عُلا) بنظريته الخاصة بجريمة الثأر ، وقاده هذا المزج إلى تصوُّر أن قاتل الشُّرطىّ هو رجل يبحث عن ثأر قديم ، جاء إلى الحىّ ، واستأجر فيه شقة مفروشة ، وهو يعلم أن (سليمان) يؤدّى عمله فى تنظيم المرور هناك .. وفى الصباح الباكر تسلَّل إلى (قيلًا) (شوق) ، وأدار السيَّارة ، وهو ينوى أن يندفع بها ، ليصدم (سليمان) ، ولكن (سليمان) رآه ، وأيقن ما يعدّه له ، فأسرع يحاول منعه ، فما كان من القاتل إلَّا أن صدمه داخل الجراج وفرَّ عبْر الباب الجانبى إلى حديقة (القيلًا) ، ومنها إلى حيث يقيم ..

وكانت هذه النظرية تعتمد على وجود رجل من (أسيوط) ، فى واحدة من الشقق المفروشة ، التى تحيط بـ (القيلًا) ..

ولقد قضى (عصام) ساعتين يبحث عن رجل تنطبق عليه هذه المواصفات ، حتى عثر أخيرًا على رجلين دفعة واحدة ..

وكان من المستحيل أن يسمح لهما بالإفلات ، بعد أن بلغ هذا الحدّ ؛ لذا فقد قال للبوَّاب فى صرامة :

ـ حاول أن تعطّلهما .. لاتسمح لهما بمغادرة المكان .

ارتفع حاجبا البوّاب فى دهشة ، وهتف فى استنكار :

ـ ليس هذا من حقّى أيها السيّد .

وعاد حاجباه يلتقيان ، وهو يستطرد فى حَذر :

ـ هذا من شأن الشُرطة وحدها .. هل أنت أحد رجالها ؟

أجابه (عصام) فى حِدّة :

ـ كلّا .. أنا صحفىّ و ....

قاطعه البوّاب غاضبًا :

ـ إذن فليس لكَ أدنى حقّ فى منعهما من الذهاب حيثما يحلُو لهما .

ونهض فى حركة حادّة ، مستطردًا :

ـ والآن : اذهب من هنا ..

هتف به (عصام) فى غضب :

ـ إننى أُحمّلك المسئولية ، ولو أنهما ....

اختطف الرجل عصاه الغليظة ، وهو يهتف فى سخط :

ـ قلت لك ابتعد .

وقبل أن ينبس (عصام) ببنِت شفَه ، هوَى الرجل على رأسه بعصاه الغليظة ..

* * *

لم تكن مبادرة الرجل منتظرة أو متوقّعة ، حتى أن (عصام) قد فوجئ بها حقًا ، إلّا أن مكافحته الطويلة لعالم الجريمة ، بمعاونة (عماد) و(غُلا) ، كانت قد ولّدت فى أعماقه قدرة خاصّة ، على مواجهة مثل هذه المفاجآت ، والتعامل معها على نحو مناسب ؛ لذا فقد تحرّك جسده فى سرعة ، متفاديًا عصا الرجل ، وقفز جانبًا فى توتُّر ، ثم اندفعت قبضته ، دون أن يدرى ، لتهوى على فكّ البوّاب كالقنبلة ..

وترنّح البوّاب ، وتراجع من أثر الدهشة واللكمة ، وحاول أن يتمالك نفسه ، ويستعيد توازنه ، إلّا أن (عصام) قفز نحوه ، وكال له لكمة أخرى أسقطته أرضًا ، فى نفس اللحظة التى ارتفع فيها صوت أجشّ يهتف :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

التفتت عينا (عصام) إلى وجه صاحب الصوت ، الذى يهبط فى درجات سُلّم البِناية الأخيرة ، وهو يحمل حقيبة متوسّطة الحجم ، وإلى جواره شاب شديد الشبه به ، على حين هتف البوّاب ، وهو ينهض فى غضب ومرارة :

ـ إنه لصّ يا سيّد (وحيد) .. لصّ يدّعى أنه من رجال الصُحف ، ولقد كان يسأل عنكما .

لذا فقد تحرَّك جسده فى سرعة ، متفاديًا عصا الرجل ، وقفز جانبًا فى توتُّر ، ثم اندفعت قبضته ، دون أن يدرى ، لتهوى على فك البواب ..

هتف (وحيد مروان) فى دهشة :

ـ يسأل عنَّا ؟!

واجهه (عصام) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا صحيح ، لو أنك (وحيد مروان) .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال فى توتُّر :

ـ هذا أنا حقًا ، وهذا هو شقيقى (جلال) ، ولست أظن أننا قد التقينا من قبل !

هتف شقيقه (جلال) فى عصبيَّة واضحة :

ـ كلَّا بالطبع .

عدَّل (عصام) ثيابه ، وهو يرمقهما بنظرة صارمة ، قائلًا :

ـ أنتما من الصعيد .. أليس كذلك ؟

أجابه (وحيد) فى حِدَّة :

ـ بلَى .. ما شأنك أنت بهذا ؟

لوَّح (عصام) بكفِّه ، وهو يقول :

ـ إننى أحقِّق فى أمر جريمة ، أنتما تعرفان الكثير عنها حسبما أظن .

فغر (جلال) فاهُ فى ذهول ، وشحب وجهه فى شدة ، فى حين عقد (وحيد) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ لا شأن لنا بأيّة جرائم .. إننا لسنا من سكّان هذا الحيّ بل ولسنا من المقيمين بـ (القاهرة) و ....

قاطعه (عصام) فى لهجة شبه ساخرة :

ـ هذا مؤكّد .

تبادل الرجلان نظرات متوتّرة ، ثم قال (وحيد) فى صرامة :

ـ اسمع أيها الصحفىّ .. إننا فى طريقنا للّحاق بقطار الصعيد ، وليس لدينا من الوقت ما يكفى لمثل هذه التُّرّهات ، فابتعد عن طريقنا .

أجابه (عصام) فى صرامة :

ـ اسمع أنت أيها الرجل .. إن ما أتهمكما به سيجعلكما تقضيان عمرًا طويلًا خلف القضبان ، وقد تصل عقوبتكما إلى الإعدام و ....

صاح (جلال) فجأة فى عصبيّة زائدة :

ـ لا فائدة يا (وحيد) .. من الواضح أنه يعلم كل شىء .

هتف (وحيد) فى جزع :

ـ كلّا يا (جلال) .. إنه ....

قبل أن يتم عبارته ، وقبل أن ينتبه (عصام) والبوّاب ، انتزع (جلال) من حزامه مسدّسًا ، وأطلق رصاصته نحو (عصام) .

وشقّ دوىّ الرّصاصة هدوء الحىّ كلّه ...

* * *

٤ ــ الجريمة ..

أدرك (عصام) ، منذ الوهلة الأولى ، أن نهايته آتية لا ريب ، خاصَّةً وأن المفاجأة سمَّرته فى مكانه ، ولم تمنحه فرصة الابتعاد عن مرمى النيران .. ولكن من حسن حظِّه أن أعصاب (جلال) الثائرة ، وقِلَّة خبرته فى استخدام الأسلحة الناريَّة قد منعتاه من إجادة التصويب ، فطاشت رصاصته ، ومرقت على بعد سنتيمتر واحد من أذن (عصام) اليسرى ، التى شقَّها الأزيز المفزع ، فغاضت الدماء من وجهه ، وامتلأت نفسه بالرُّعب ..

وفجأة .. انقضَّ البوَّاب على (جلال) وهـوَى على معصمه بعصاه الغليظة ، وهو يهتف فى غضب :

ــ أيُّها المجرم .

تأوَّه (جلال) فى غَضَب ودهشة ، على حين اندفع (وحيد) يعدُو فى عصبيَّة ، ودفع (عصام) بحقيبته ، ليزيحه عن الطريق ، وهو يهتف فى توتُّر :

ــ ابتعد .. عليك اللَّعنة !!

تجاهل (عصام) (جلال) ، الذى اشتبك معه البوَّاب فى صراع عنيف ، بعد أن جرَّده من مسدَّسه ، وانطلق يركض خلف (وحيد) ، الذى عَبَر الشارع ، وسط السيَّارات ، وتبعه (عصام) فى إصرار ، وأخذ كلاهما يدفع المارَّة عن طريقه ، ويقفز فوق ما يصادفه من عقبات ، حتى اعترض طريق (وحيد) حافلة كبيرة ، وأدرك أن (عصام) سيلحق به لا محالة ، فأسرع ينتزع مسدَّسه بَدوْره ، والتفت إلى (عصام) صارخًا فى جنون :

ــ أنت الذى أردت ذلك أيُّها الصَّحفىّ القَذِر .

حاول (عصام) أن يقفز مبتعدًا عن طريق الرَّصاصة ، ولكنه كان يقف فى منتصف الطريق ، المزدحم بالسيَّارات ، ولم يكن هناك من مفر ..

ومرَّة أخرى دوَّى فى المنطقة صوت طَلق نارىّ صائب ..

* * *

لم يصدِّق (عصام) نفسه ، عندما دوَّى الطلق النارىُّ ، دون أن يشعر بأدنى ألم ، واتسعت عيناه فى دهشة ، حينما سمع (وحيد) يتأوَّه فى قوَّة ، ورأى مسدَّسه يطير فى الهواء ، ولكن

دهشته تلاشت ، حينما سمع صوت العقيد (خيرى) من خلفه ، يقول فى حزم وصرامة :

ــ لا فائدة أيها المجرم .. لقد انتهى الأمر .

ظلَّ (عصام) مسمّرًا فى مكانه طويلًا ، وهو يتطلَّع إلى جنود الشُّرطة ، الذين أحاطوا بـ (وحيد) فجأة ، وأحاطوا معصميه بالأغلال ، وهو مستسلم منهار ، حتى شعر بيد العقيد (خيرى) توضع على كتفه ، وسمعه يقول فى صرامة غاضبة :

ــ ألَمْ أنصحك بالابتعاد عن هذه القضية أيها الصحفىّ ؟

استردَّ (عصام) رباطة جأشة ، بعد أن أيقن من نجاته ، ووجدت ابتسامته طريقها إلى شفتيه ، وهو يقول فى ارتياح :

ــ لقد وصلت فى الوقت المناسب يا سيادة العقيد .

أجابه العقيد (خيرى) فى غضب :

ــ ليس فى كل مرَّة تسلَم الجرَّة أيها الصحفى .

هتف (عصام) فى حماس :

ــ لقد توصَّلت إلى قاتل شرطىّ المرور .. إنــه هذا الرجل ، الذى ألقيم القبض عليه ، وشقيقه الذى ....

قاطعه العقيد (خيرى) فى حزم :

ــ لا تتعجَّل النتائج يا (عصام) .

هتف فى دهشة :

ــ أتعجَّل النتائج ؟!.. ولكنكم ألقيتم القبض عليه ، وهو يحاول قتلى .

صاح العقيد (خيرى) فى غضب :

ــ قلت لك ألا تتعجَّل النتائج .

ثم أردف وهو يتركه ، ليلحق بسيَّارة الشُّرطة :

ــ قد تتبدَّل وجهة نظرك تمامًا ، بعد أن نستجوب الرجلين .. مَنْ يَدْرِى ؟!

* * *

أطلق (عصام) صفيرًا يشفُّ عن دهشته ، حينما فتح العقيد (خيرى) تلك الحقيبة ، التى وجدها رجال الشُّرطة مع (وحيد) ، وبدت فيها أكداس الأوراق المالية ، التى تربُو على ربع المليون جنيه مصرى ، وهتف :

ــ إذن .. فهذا هو ثمن قتل (شرطىّ المرور) .

خَدجَه العقيد (خيرى) من خلف مكتبه ، بنظرة صارمة ، قبل أن يلتفت إلى (وحيد) ويسأله :

ــ من أين لك كل هذه الأموال ؟

زمجر (وحيد) ، وهو يقول فى خشونة :

ـ لا شأن لكم بها .. إنها أموالى .

ابتسم العقيد (خيرى) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ من قال لك إنه لا شأن لنا بها أيها المجرم ؟.. إننا نتَّهمك وشقيقك بقتل شرطىّ المرور (سليمان) مقابل هذه الأموال .

غمغم (وحيد) فى سخرية مريرة :

ـ أى شرطىّ هذا ، الذى يساوى قتله ، ربع مليون جنيه؟

اعتدل العقيد (خيرى) ، وهو يسأله فى حِدَّة :

ـ لماذا كنت تحمل كل هذا القدر من المال إذن ؟

هتف (وحيد) فى سخط :

ـ ولماذا يثيركم هذا الأمر ؟.. من الطبيعى أن يحمل أى تاجر كبير هذا المبلغ ، ما دام بصدَدِ إتمام صفقة كبيرة .

سأله العقيد (خيرى) فى برود :

ـ وهل من الطبيعى أيضًا أن يطلق ذلك التاجر الكبير النار ، على صحفىّ معروف ، فى الطريق العام ؟

غمغم (وحيد) فى حِدَّة :

ـ لقد تصوَّرت . أنه يحاول سرقة أموالى .. هو الذى أعطانى هذا الانطباع ، حينما هاجمنى دون سابق معرفة .

صاح (عصام) فى غضب :

ـ أنت كاذب .

هتف به العقيد (خيرى) فى صرامة :

ـ لا تتدخَّل يا (عصام) ، وإلَّا أمرت بإخراجك من هنا .

ضمَّ (عصام) شفتيه فى غضب ، على حين التفت العقيد (خيرى) إلى (وحيد) ، وعاد يسأله فى هدوء :

ـ وما نوع الصفقة ، التى كانت تحتاج إلى ربع مليون جنيه دفعة واحدة ؟

قال (وحيد) فى سخرية :

ـ أيَّة صفقة عاديَّة ، فى عصرنا هذا أيها العقيد .

ظلَّ العقيد (خيرى) ، يتأمَّله لحظات فى برود ، ثم غمغم على نحو يُوحِى باقتناعه :

ـ نعم .. أنت على حقٍّ .

وشبَّك أصابع كفَّيه أمام وجهه ، وهو يستطرد فى هدوء :

ـ يبدو أننا ندين لك بالاعتذار يا سيِّد (وحيد) .

هبَّ (عصام) من مقعده ، وهو يهتف فى استنكار :

ـ هل ستطلق سراحه ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ـ بالطبع .. أنت الذى أجبرت الرجل على أن يطلق النار عليك و ....

قاطعه (عصام) غاضبًا :

ـ ولكنك تعلم أنه كاذب .

زَوَى العقيد (خيرى) ما بين حاجبيه ، وضرب سطح مكتبه براحته ، وهو يهتف فى حَنَق :

ـ قلت لك : لا تتدخل مرّة أخرى فى شئون الشُّرطة يا أستاذ (عصام) .

لوَّح (عصام) بذراعه فى غضب ، وعاد يلزم الصمت محنقًا ، فى حين قال العقيد (خيرى) لـ (وحيد) فى هدوء :

ـ سنطلق سراحك بالطبع يا أستاذ (وحيد) ، ولكن يؤسفنى أنك ستضطر لتأجيل سفرك .. فنحن سنحتفظ بأموالك ، كإجراء روتينى ، حتى صباح الغد ، إلى أن تؤكّد لنا إدارة البحث الجنائى ، أنها ليست مزوَّرة أو مسروقة .. إنه إجراء روتينى بالطبع .

مطَّ (وحيد) شفتيه ، وهم يغمغم فى سخط :

ـ إننى أقدّر ذلك .

ثم اتجه نحو باب المكتب فى حَنَق ، وقبل أن يغادره التفت إلى (عصام) ، وقال فى لهجة مخيفة :

ـ سنلتقى مرَّة أخرى أيها الصحفىّ .

ثم دلف خارج الحجرة ، وأوصد بابها خلفه فى حِدَّة ، فصاح (عصام) فى غضب :

ـ أنت ترتكب خطأً شنيعًا يا سيادة العقيد .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ اهدأ يا (عصام) .. إننى أعلم ما أفعله .

صاح (عصام) فى حَنَق :

ـ لقد تركته ينصرف ؟!

أجابه فى هدوء :

ـ لأننا لا نملك أدلَّة كافية ضده يا (عصام) .. فلقد أكَّد بوَّاب البناية أنه وشقيقه لم يغادراها منذ مساء أمس ، وحتى ظهر اليوم ، ولديه تبرير قوى لإطلاقه النار عليك ، وهذا ينطبق على شقيقه أيضًا .. ولو احتجزناهما ، فلن نجد ما نحاكمهما عليه سوى محاولة إطلاق النار ، مع ملاحظة أن مسدَّسيهما مرخَّصان رسميًّا .. أمَا لو تركناهما ، فقد يقوداننا إلى حل لغز مصرع (شرطىّ المرور) .

ثم اتجه نحو باب المكتب فى حَنَق ، وقبل أن يغادره التفت إلى (عصام) ، وقال فى لهجة مخيفة : ــ سنلتقى مرَّة أخرى أيها الصحفىّ ..

هتف (عصام) فى حِدَّة :

ــ وقد يفرَّان .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وقال وهو يربِّت على الحقيبة المُتْخَمة بالنقود :

ــ لا أظنهما سيتخلّيان عن ربع مليون جنيه بهذه البساطة .

وعاد يشبِّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد فى هدوء :

ــ ونحن لم نضع وقت احتجازهما هنا سدًى ، فلقد استصدرنا أمرًا من النيابة بمراقبة هاتفهما ، وحصلنا على بصماتهما كإجراء روتينى ، وأحطنا البناية ، التى يقيمان فيها ، برجالنا .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ هل تم رفع البصمات عن عجلة قيادة السيَّارة ؟

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

ــ بالطبع .. هذا إجراء روتينى .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ــ وهل قارنتموها ببصمات المشتبه فيهم ؟

مطّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وتنهَّد وهو يهزُّ رأسه نفيًا ، فسأله (عصام) فى حِدَّة :

ـ ولماذا لم تفعلوا ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى ضيق :

ـ لأنه لم تكن هناك أيَّة بصمات على عجلة القيادة .

هتف (عصام) فى دهشة :

ـ على الإطلاق ؟!

أومأ العقيد (خيرى) برأسه إيجابًا ، فعقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ إنك تزيدنى تأكُّدا من أن هذين الرجلين هما قاتلا (شرطىّ المرور) يا سيادة العقيد .. صدِّقنى .. إننا نسير فى الطريق الصحيح .

* * *

٥ ـ الشـاهد ..

تنهَّد الأستاذ (مرسى) ، صاحب المكتبة الصغيرة ، المجاورة لـ (قيلًا) (شوقى) ، ولوَّح بكفِّه ، وهو يقول لـ (عصام) :

ـ هذا كل ما حدث يا أستاذ (عصام) .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ إذن فأنت أخبرت الأستاذ (شوقى) بأمر الحادث !

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، فعاد (عصام) يسأله :

ـ وماذا فعل حينما أخبرته ؟

هزَّ (مرسى) رأسه فى أسف ، وأجاب فى هدوء :

ـ لقد اضطرب المسكين للغاية ، وأسرع معى إلى جراج السيَّارة .. ولقد شحب وجهه للغاية ، حينما رأى عمّ (سليمان) قتيلًا ؛ وكان محرِّك السيَّارة ساكنًا ، ولكن أنوارها كانت مضاءة ؛ لذا فقد أغلق مفتاح التشغيل ، وجذبه ، ووقف مثلنا ينتظر قدوم رجال الشُّرطة والإسعاف .

سأله (عصام) :

ــ هل أمسك عجلة القيادة وهو يفعل ؟

أجابه (مرسى) فى هدوء :

ــ بالطبع .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يسأل الرجل فى صرامة :

ــ أأنت واثق من أنه قد فعل ؟

أجابه (مرسى) فى ثقة :

ــ تمام الثقة .

سأله (عصام) فى حِدَّة :

ــ وكيف تتذكَّر هذا التفصيل الدقيق إلى هذا الحدّ ؟

ابتسم (مرسى) ، وقال فى هدوء :

ــ إن ذاكرتى قويَّة للغاية .

واعتدل وهو يردف :

ــ ثم إنه لم يمسك عجلة القيادة فحسب ، بل مسحها بمنديله أيضًا ، وهذا مايجعلنى أذكر ذلك تمامًا .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يهتف بانفعال :

ــ مسحها بمنديله ؟.. هل أنت واثق ؟

بدا (مرسى) غاضبًا ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد .

اعتدل (عصام) ، وزَوَى ما بين حاجبيه ، وهو يتمتم فى صوت بالغ الخفوت :

ــ إذن فقد تعمَّدت محو البصمات يا أستاذ (شوق) ، ولكن لماذا ؟.. لماذا ؟

* * *

« هذا أمر شديد الغرابة حقًّا يا أستاذ (عصام) » ..

هكذا غمغمت (عُلا) ، حينما أخبرها (عصام) ، هى وشقيقها (عماد) بما حدث ، فمطَّ (عصام) شفتيه ، وهو يقول فى تأكيد :

ــ بل هو أمر عادىّ ، لو أنه مرتكب الحادث .

تمتم (عماد) ، وهو يفكِّر فى عُمْق :

ــ أو أنه يحاول حماية شخص مَا !

هتف (عصام) فى حماس :

ــ لا ريب أنه كان يحاول حماية القاتل ، الذى استأجره لقتل الشرطىّ .

هزَّت (عُلا) رأسها ، وهى تقول :

ــ هذا يبدو غير منطقىّ يا أستاذ (عصام) .. فلو أن (شوق) يرغب فى قتل شرطىّ المرور ، لسبب أو لآخر ،

ما اختار جراج سيَّارته ، أو سيَّارته نفسها لارتكاب الحادث ، حتى لا يجعله هذا المشتبه فيه رقم واحد .

سألها (عصام) فى جِدَّة :

ــ لماذا يحاول حماية القاتل إذن ؟

أجابه (عماد) ، وكأنه يفكِّر فى صوت مسموع :

ــ لأنَّ القاتل هو شقيقه ، أو أحد أبنائه .

غمغم (عصام) فى جَزَع :

ــ أحد أبنائه ؟!

أسرع (عماد) يستدرك :

ــ إنه مجرَّد احتمال .

رَانَ على ثلاثتهم صمت مُطبِق ، لأكثر من دقيقتين كاملتين ، وكل منهم يفكِّر فى كل الاحتمالات ، ثم نهض (عصام) فجأة ، وهو يقول :

ــ أعتقد أننى سأجد الحلّ لدى والدكم .

سألته (عُلا) فى دهشة :

ــ كيف ؟

لوَّح بكفِّه ، وهو يقول فى ثقة :

ــ مازلت أومن بنظرية الثأر ، ومازلت أعتقد أنها

التفسير المنطقىّ الوحيد ، لقتل شرطىّ مرور على هذا النحو .. وأنا مقتنع تمامًا بأن لـ (وحيد) و(جلال) يدًا فى هذا الأمر ، وأن مراقبتهما ستسفر عن بروز دليل جديد على الساحة .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

ــ حسنًا يا أستاذ (عصام) ، سنسير مع نظريتك حتى النهاية ، قبل ان ننتقل إلى نظرية أخرى .

وابتسمت (عُلا) بدَوْرِها ، وهى تقول :

ــ نعم يا أستاذ (عصام) ، سنسير مع نظريتك حتى النهاية .

* * *

استقبل العقيد (خيرى) (عصام) فى مكتبه بابتسامة واسعة ، وبدت لجهته ممتلئة بالفخر ، وهو يقول :

ــ هل رأيت كيف أن وسائل الشُّرطة ناجحة يا (عصام) لقد عثرنا على الدليل فى أقلّ من ثلاث ساعات .

سأله (عصام) فى انفعال :

ــ كيف ؟

أشار العقيد (خيرى) إلى جهاز تسجيل صغير فوق مكتبه ، وهو يقول فى ظفر :

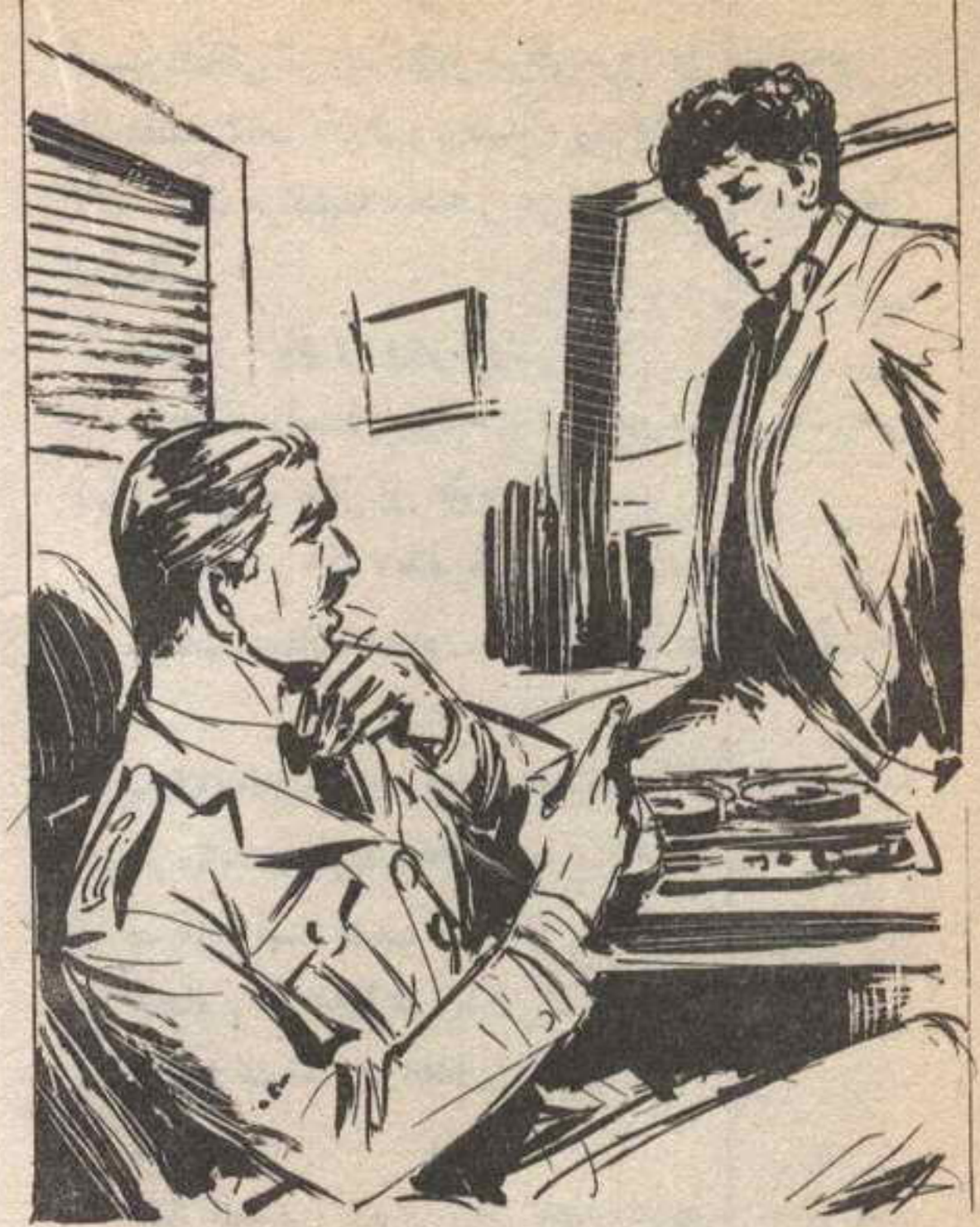

أشار العقيد (خيرى) إلى جهاز تسجيل صغير فوق مكتبه ، وهو يقول فى ظفر : ــ مكالمة هاتفية قادتنا إلى الحلّ ..

ــ مكالمة هاتفية قادتنا إلى الحلّ .

ثم ضغط زِرّ تشغيل جهاز التسجيل ، وجلس خلف مكتبه ، وملأت وجهه ابتسامة واسعة ، وهو يتطلّع إلى (عصام) ، الذى استمع فى اهتمام إلى شريط التسجيل ، وهو ينقل صوت رنين هاتف ، قبل أن يقول صوت خافت غير مميَّز :

ــ من المتحدّث ؟

ثم جاء صوت (وحيد) واضحًا ، وهو يقول :

ــ إنه أنا أيها الزعيم .

ــ أيها الغبىّ .. كيف تتصل بى هنا ؟

ــ لقد تعقّدت الأمور أيها الزعيم .. لقد ألقى رجال الشرطة القبض علينا ، وما زالت النقود فى حوزتهم .

ــ أعلم أيها الغبىّ ، ما كان ينبغى أن تتصل بى أبدًا .

ــ كيف أيها الزعيم ؟.. إنها نقودك !

ــ فلتذهب النقود إلى الجحيم .. هل تعلم عقوبة ما فعلناه ؟.. إنها قد تصل إلى الإعدام شنقًا .

ــ ولكنهم لا يملكون أيّة أدلّة أيها الزعيم .. لقد أطلقوا سراحنا .

ـ لو أن عقلك التافه يحمل ذرّة واحدة من الذكاء ؛ لأدركت أنها خدعة أيها الغبىّ .

ـ خدعة ؟!

ـ بالتأكيد .. لقد كان ينبغى أن يتم سحب مسدّسيكما على الأقل .

ـ إنهم لم يفعلوا .

ـ وهذا ما يثير الشك .. لقد أطلقوا سراحكما لهدف ما .

ـ هل تظن أنهم .... ؟

ـ كفى أيُّها الغبىّ .. أنه المحادثة على الفور .

وعند هذه النقطة أنهى (وحيد) المحادثة بالفعل ، فهتف (عصام) :

ـ يا إلٰهى !!.. إنه دليل قوىّ .. هل علمتم رقم الهاتف ، الذى كان يتحدَّث إليه ؟

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ بالطبع .. ولقد استصدرنا أمرًا من النيابة ، بإلقاء القبض على (وحيد) و(جلال) ، وزعيمهما .

سأله (عصام) ، وقد بلغ انفعاله ذِرْوته :

ـ ومن هو الزعيم ؟.. من صاحب الهاتف الآخر ؟

تأمَّله العقيد (خيرى) لحظة فى صمت ، ثم أجابه فى صوت هادئ ، وكلمات بطيئة :

ـ إنه هاتف (القيلًا) .. قيلًا الأستاذ (شوقى) .

* * *

٦ ــ السُّقوط ..

زفر (شوقى) فى ضيق ، وهو يستقبل (عصام) والعقيد (خيرى) فى قيلَته ، وسأله العقيد فى توتُّر :

ــ هل سنواجه فيضًا آخر من الأسئلة ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء واقتضاب :

ــ أجل .

بدا (شوقى) شديد التوتُّر ، وهو يقول :

ــ اسمع يا سيادة العقيد .. لقد أخبرناك ــ هذا الصباح ــ بكل ما لدينا و ...

قاطعه العقيد (خيرى) فى حزم :

ــ ليس كل ما لديكم يا أستاذ (شوقى) .

امتقع وجه الرجل ، وهو يغمغم فى ذُعْر :

ــ ماذا تَعْنى ؟

تجاهل العقيد (خيرى) إجابة السؤال ، وتلفَّت حوله ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هل الجميع هنا ؟

جفَّف (شوقى) عرقه ، وهو يقول :

ــ نعم .. كلهم هنا .. حتى شقيقى (على) أجَّل سفره و ....

قاطعه العقيد (خيرى) فى برود :

ــ ادعهم جميعًا إلى هنا .

دعا (شوقى) شقيقه وأبناءه ، واجتمع الجميع فى بهو القيلَّا ، وهم يتبادلون نظرات الحَيْرة والتوتُّر والقلق ، قبل أن يقول العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ لقد اتخذت قضية مصرع (شرطىّ المرور) مسارًا جديدًا أيُّها السَّادة ، لقد عثرنا على دليل يقودنا إلى القاتل .

امتقعت وجوه الجميع ، حتى (سامح) ، وهم يتطلَّعون إلى (شوقى) فى جَزَع ، فقال هذا الأخير فى توتُّر :

ــ أى دليل هذا أيها العقيد ؟

ابتسم العقيد (خيرى) فى هدوء ، واتجه إلى باب (القيلَّا) ، وفتحه ، وأشار إشارة مُبهمة بكفِّه ، فدلف إلى الداخل جنديَّان ، يدفعان أمامهما (وحيد) و(جلال) ، والأغلال تحيط بمعصميهما ، فقال (شوقى) فى حِدَّة :

ـ ماذا يَعْنى هذا ؟.. من هذان ؟

حَدَجَه العقيد (خيرى) بنظرة صارمة ، قبل أن يقول :

ـ عجبًا !!.. كنت أظن أنهما معروفان هنا .

غمغم (على) فى حِدَّة :

ـ لماذا ظننت ذلك ؟

اعتدل العقيد (خيرى) ، وواجه الجميع فى صرامة ، وهو يقول :

ـ لأن أجهزتنا سجَّلت مكالمة لهما ، يتحدَّثان فيها مع زعيمهما ، ويعترفان فيها بارتكابهما جريمة ، بالاشتراك مع هذا الزعيم ، أو بناءً على أوامره .

غمغم (شوقى) فى حِدَّة :

ـ وما شأننا بذلك ؟

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ لقد كان زعيمهما يتحدَّث إليهما من هنا .. من هذه (الڤيلَّا) .

تفجَّرت الدهشة فى وجوه الجميع ، وغمغم (شوقى) فى اضطراب :

ـ من هنا ؟!

أجابه العقيد (خيرى) :

ـ نعم .. من هنا .

ثم التفت إلى (وحيد) و(جلال) ، مستطردًا فى صرامة .

ـ أليس كذلك ؟

أشاح (جلال) بوجهه ، دون أن ينبس ببنْت شفة ، فى حين غمغم (وحيد) فى سخط :

ـ لن تحصل منَّا على حرف واحد .

أطلق العقيد (خيرى) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـ لو أنكما تظنان أنكما ستحميان زعيمكما بصمتكما ، فأنتما واهمان ، فسنحيل شريط التسجيل إلى خبراء الإذاعة ، وسنحصل على تسجيلات لأصوات الجميع هنا و ....

قاطعه صوت حانق ، بالغ العصبيَّة والتوتُّر ، يقول فى حِدَّة :

ـ حسنًا أيها العقيد .. لقد ربحت .

التفت الجميع إلى مصدر الصوت فى دهشة ، واجتاحهم انفعال هائل ، فقد كان الزعيم قد كشف عن وجهه ، وهو يصوِّب إليهم مسدَّسه فى شراسة ..

* * *

لم تستطع (عُلا) استذكار دروسها ، وهى تفكّر فى غموض قضية (شرطىّ المرور) ، حتى فاض بها الكيل ، فأغلقت كتابها ، والتفتت إلى (عماد) تسأله فى لهفة :

ــ هل تظن أن نظرية الأستاذ (عصام) صحيحة يا (عماد) ؟

هزَّ رأسه نفيًا فى بطء ، وقال وهو يزيح كتابه جانبًا بدوره :

ــ كلَّا .. إنها لا تبدو لى منطقيَّة .

اعتدلت ، وهى تقول فى اهتمام :

ــ ولكن ظروف هذه القضية بالغة الغرابة يا (عماد) .. فعلى الرغم من وقوع الحادث أمام العشرات ، إلّا أن القاتل مازال مجهولًا .

أومأ برأسه موافقًا ، وقال :

ــ كثيرًا ما تتعقَّد الأمور ؛ لأننا نرفض تصديق أو استيعاب أسهل الحلول وأبسطها .

مطَّت شفتيها ، وهى تقول فى حَيْرة :

ــ إننى لا أجد أيَّة بساطة فى هذه القضية يا (عماد) ، فهناك عشرات الأسئلة تدور فى رأسى ، وأعجز عن إيجاد جواب لها .

والتفتت إلى (عماد) تسأله فى لهفة :

ــ هل تظن أن نظرية الأستاذ (عصام) صحيحة يا (عماد) ؟

سألها فى هدوء :

ــ مثل ماذا ؟

أجابته فى قلق :

ــ مثل معنى العبارات التى نطق بها عمّ (سليمان) ، قبيل مصرعه .. ولماذا تعمّد (شوقى) محو البصمات من عجلة القيادة ؟ وما صلة (وحيد) و(جلال) بالأمر ؟

تنهّد ، وهو يقول :

ــ يوجد حتمًا جواب واحد لكل هذا يا (عُلا) .

هتفت :

ــ بالتأكيد .. ولكن ما هذا الجواب ؟

زفر فى قوّة ، قبل أن يقول :

ــ حتى الآن ، الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم يا (عُلا) ما هذا الجواب .

* * *

انتفض قلب عصام فى شِدّة ، من فرط الانفعال ، وهو يحدّق فى وجه الزعيم ، الذى صوّب مسدّسه إلى الجميع ، وهو يتراجع بوجه شاحب ، ووجد (عصام) نفسه يهتف فى توتُّر :

ــ إذن فأنت الزعيم .. أنت يا سيّد (على) .

هتف (على) شقيق (شوقى) ، فى عصبيّة :

ــ نعم .. هو أنا .

جفّ لُعاب (شوقى) ، وهو يقول فى رُعْب :

ــ (على) ؟!.. ماذا تقول ؟

صاح به شقيقه فى توتُّر :

ــ ابتعد يا (شوقى) ، لا شأن لك بما يحدث .

تراجع أبناء (شوقى) فى ذُعْر ، وهتف (أيمن) :

ــ عمّاه ؟!.. ماذا تفعل ؟

صاح (على) فى حِدّة :

ــ ابتعدوا جميعًا .. إننى لن أتراجع مهما كانت الأسباب .

قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ ألا تظن أنه من السخف أن تهدّد ضابطًا وجنديّين ، من رجال الشُّرطة ، بمسدّسك ، و(القيلا) كلها محاصرة برجال الشُّرطة ؟

صاح (على) فى توتُّر بالغ :

ــ لم يُعد لدىّ ما أخسره .

اتجه العقيد (خيرى) نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

— بل لديك الكثير لتخسره ، كحياتك مثلًا .

صاح (على) فى حِدَّة :

— ابتعد .. قلت لك ابتعد .

واصل العقيد (خيرى) اقترابه منه ، وهو يقول :

— استسلم يا (علىّ) .. لم تعُد هناك فائدة .

شحب وجه (على) فى شِدَّة ، وزاغ بصره ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ، ثم صرخ فجأة ، وكأنما أصيب بالجنون :

— قلت لك ابتعد .. ابتعد .

وفى غمرة توتُّره ، أطلق رصاصة مسدَّسه نحو العقيد (خيرى) تمامًا ..

* * *

٧ — وتوالت الأحداث ..

أى رجل شرطة فى (مصر) مؤهل جيِّدًا ، لمواجهة مثل هذه المواقف ، حينما يفقد المجرم أعصابه ، ويلجأ إلى العنف الدموىّ ، عندما يجد نفسه كالفأر فى المصيدة ، وقد صار قيد خُطوة واحدة من النهاية ، التى كانت تؤرِّقه دَوْمًا ، وهو يعلم أن عمله منافٍ للقانون ..

وكان من السهل على رجل شرطة محنَّك ، مثل العقيد (خيرى) ، أن يدرك أن (على) قد يصل إلى مثل هذه الحالة ، خاصَّةً وأنه يحمل مسدَّسًا ، وأن يستعد لتدارك الموقف ، وتفادى الرصاصة المنطلقة نحوه ..

ولكن العقيد (خيرى) لم يفعل .

إنه فى الواقع لم يجد الوقت الكافى ليفعل ..

لم يكد (على) يصوِّب مسدَّسه إلى العقيد (خيرى) ، ولم تكد سبَّابته تبدأ ضغطها على الزِّناد ، حتى اندفع (عصام) فجأة كالرَّصاصة ، وقبض على معصم (على) فى قوَّة ، وأمال

فُوَّهة المسدَّس إلى أعلى ، فانطلقت الرصاصة ، لتصيب سقف البهو ، مختلطة بصراخ (لبنى) ، وشهقة (أيمن) و(وائل) ، وشحوب وجه (سامح) وتراجع (شوقى) الحاد .. ثم اندفعت قبضة (عصام) لتغوص فى معدة (على) فى قوّة ، جعلت هذا الأخير يشهق فى دهشة وألم ، قبل أن ترتفع القبضة نفسها لترتطم بفكّه ، وتحطّم أسنانه ..

وجحظت عينا (على) ، وترنّح فى ألم وذهول ، ثم سقط فاقد الوَعْى ، على حين أخذ (عصام) يلهث فى قوّة ، وكأنما بذل مجهودًا يفُوق كل طاقاته الجسدية ..

وهتف العقيد (خيرى) فى دهشة :

ــ كيف فعلت هذا ؟

تطلّع إليه (عصام) فى حَيْرة ، وعاد يحدّق فى جسد (على) ، الفاقد الوَعْى عند قدميه ، ثم قلّب كفَّيْه ، وهو يغمغم فى صوت لاهث :

ــ لست أدرى !! لست أدرى كيف !!.. لقد خشيت فقط أن يفرّ ، و ....

عجز تمامًا عن إتمام عبارته ، فعاد يقلّب كفَّيْه فى حَيْرة ! فى حين انهار (شوقى) على أقرب مقعد ، وهو يقول :

ــ (على) ؟!.. مستحيل !.. مستحيل !!

واتسعت عينا (أيمن) و(وائل) فى ذهول ، وهما يحدّقان فى جسد عمّهما ، وانخرطت (لبنى) فى بكاء حار ، وأسرع (سامح) يعدُو إلى حجرته فى الطابق العلوى .. أما العقيد (خيرى) ، فقد غمغم فى أسف واضح :

ــ يؤسفنى ما حدث يا سيّد (شوقى) .. يؤسفنى أن نسبّب لكم كل هذا الحزن . ولكن لكل شىء نهاية .

تنهّد (عصام) ، وشعر بآلام مبرّحة فى قبضته وأصابعه ، وبحزن شديد يغمر قلبه . وهو يقول فى أسف شديد :

ــ نعم .. لكل شىء نهاية .

وأشار إلى جسد (على) مستطردًا :

ــ كما انتهت قضية (شرطىّ المرور) .

* * *

« سأعترف .. سأعترف بكل شىء » ..

نطق (على) بهذه العبارة ، فى صوت يشفُّ عن انهياره ، واستسلامه لمصيره ، وهو يجلس فى حجرة مكتب العقيد (خيرى) ، الذى قال فى هدوء :

ــ هيّا .. كلّنا آذان صاغية .

حاول (على) أن يزدرد لعابه ، إلا أن حلقه بات أشدّ جفافا من رمال الصحراء ، وهو يقول فى صوت متحشرج :

ـ إننى أتاجر فى المخدّرات .. نعم .. لقد أتيت إلى (القاهرة) ، لأتمّ صفقة كبيرة ، واصطحبت معى (وحيد) و(جلال) ، وذهبت أنا لأقيم عند شقيقى (شوق) ، على حين استأجرا هما شقة مفروشة ، فى البناية المجاورة (للقيلًا) ، ومساء أمس ذهبا إلى التاجر ، الذى نتعامل معه ، وأعطياه المخدّرات ، فنقدهما ثمنها بالكامل ، ربع مليون جنيه مصرى .. وكان من المفروض أن نعود جميعًا إلى (أسيوط) اليوم ، لولا ما حدث .

سأله (عصام) فى اهتمام :

ـ وهل كشف (سليمان) ، شرطىّ المرور ، أمر الصفقة ؟

غمغم (على) فى دهشة :

ـ وما شأن شرطىّ المرور بالأمر ، قلت لكم إن الصفقة قد تمّت أمس !

هتف (عصام) فى حَنَق :

ـ لماذا قتلته إذن ؟

اتسعت عينا (على) فى ذُعر ، وهو يهتف :

ـ قتلته ؟!.. وما شأنى أنا بمصرع شرطىّ المرور ؟.. لقد اعترفت بكونى تاجرًا للمخدّرات ، ولكننى لست بقاتل .

مال العقيد (خيرى) نحوه ، وهو يسأله فى حِدّة :

ـ هل تعلم أن عقوبة الاتجار فى المخدّرات ، قد تصل ـ فى مثل حالتك ـ إلى الإعدام ؟

أومأ (على) برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى مرارة :

ـ نعم .. أعلم ذلك .

اعتدل العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ اعترافك بقتل الشرطىّ لن يزيد الأمر سوءًا إذن .

هتف على فى حَنَق :

ـ ولماذا أعترف بذلك ، مادمت لم أفعل ؟

هتف (عصام) فى عصبيَّة :

ـ ماذا تعْنى بأنك لم تفعل ؟.. إن كل الأدلّة تؤكّد أنك ..

قاطعه (على) فى حِدّة :

ـ إننى ماذا أيها الصحفىّ ؟.. قلت لكم إننى لم أقتل الشرطىّ ، ولم يكن فى نيّتى أن أقتل أى شخص على الإطلاق .

صاح (عصام) :

هتف (عصام) فى عصبيّة :

ــ ماذا تعْني بأنك لم تفعل ؟

ــ ولكن كليكما من (أسيوط) ؟!

هتف (على) :

ــ وماذا يعْنى هذا ؟.. هل تظن أن (أسيوط) هذه مجرَّد قرية صغيرة ؟.. إنها مدينة ضخمة ، ومجمَع سكنى كبير .. وقد يحيا المرء عمره كله فيها ، ويختلط بمجتمعاتها ، ويموت بالشيخوخة على أرضها ، دون أن يعرف حتى ربع سكَّانها .

كاد (عصام) يصيح فى وجهه مرّة أخرى ، لولا أن أمره العقيد (خيرى) بالتزام الصمت فى صرامة ، والتفت إلى (على) يسأله :

ــ هل تنكر أيّة علاقة لك بمصرع شرطىّ المرور ؟

هتف (على) :

ــ بالطبع .

رَانَ الصمت طويلًا على المكان ، ثم التفت العقيد (خيرى) إلى (عصام) ، وقال فى حزم :

ــ يبدو أنك كنت مخطئاً يا أستاذ (عصام) .

واكتسى صوته برئَة غاضبة صارمة ، وهو يستطرد :

ــ إن قضية مصرع (شرطىّ المرور) لم تنته بعد .

* * *

للمرَّة الثالثة فى يوم واحد ، اجتمعت أسرة (شوقى) فى بهو (القيلًا) ، وفى هذه المرَّة كان الحزن يكسو وجوه الجميع ، وكان (شوقى) نفسه يبدو أكثرهم ألمًا ومرارة ، وهو يقول للعقيد (خيرى) فى استسلام :

ــ ماذا تريدون منَّا هذا المرَّة ياسيادة العقيد ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

ــ لقد أدلى شقيقك باعتراف كامل ياسيِّد (شوقى) .

غمغم (شوقى) فى مرارة :

ــ ماذا بعد ؟

قال العقيد (خيرى) :

ــ لقد اعترف بأنه كان يتاجر فى السُّموم المخدِّرة .

عاد (شوقى) يقول فى ضيق :

ــ وماذا بعد ؟

ساد الصمت خظة ، ثم قال العقيد (خيرى) فى صرامة :

ــ ولكنه أنكر تمامًا صلته بمصرع (شرطى المرور) .

ارتسم الذُّعر فجأة على وجوه أبناء (شوقى) ، وامتقع وجهه هو فى شدة ، وهو يتطلَّع إلى بنيه فى جزع ، قبل أن يلتفت إلى العقيد (خيرى) ، قائلًا فى حِدَّة :

ــ وماذا يَعْنيه هذا ؟

اندفع (عصام) يقول فجأة :

ــ سأخبرك أنا عمَّا يعنيه هذا يا أستاذ (شوقى) .. إن كل الأدلة تؤكِّد أن قاتل شرطى المرور هو أحد المقيمين فى (القيلًا) .. ولقد أشرت أنت إلى احتمال كونه لصًّا من خارجها ، ولقد درسنا هذا الاحتمال أوَّلًا ، وقادنا هذا بالمصادفة إلى الإيقاع بشقيقك وعصابته ، وبقيت قضية مصرع (شرطى المرور) ، وأقوال الجميع بشأنها .

غمغم (شوقى) فى اضطراب شديد :

ــ ولماذا تصرُّون على أن يكون هذا اللصّ هو شقيقى (على) ؟!.. لِمَ لايكون شخصًا من خارج الحىّ كلِّه و ...؟

قاطعه (عصام) فى صرامة :

ــ لأنك تعلم من القاتل يا أستاذ (شوقى) .

اتسعت عينا (أيمن) و(وائل) فى ذُعر ، وشهقت (لبنى) ، والتصق بها شقيقها (سامح) فى رُعْب ، على حين امتقع وجه (شوقى) فى شدة ، وهو يهتف فى صوت مختنق :

ــ أنا ؟!

أجابه (عصام) :

ــ نعم .. أنت .. أنت تعلم من القاتل ، ولهذا محَوْت

البصمات من فوق عجلة قيادة السيَّارة ، كما أكَّد الأستاذ (مرسى) ، الشاهد الأساسى فى القضية ، ولذلك أيضًا حاولت جاهدًا أن تحوّل تفكيرنا إلى نظرية وجود لصّ من خارج (القيلًا) ، ولكن هذه النظرية تبدو لى الآن سخيفة تمامًا ، فقد كان باب جراج (القيلًا) الخارجى مفتوحًا . ولذلك رأى عمّ (سليمان) (رحمه الله) وجه قاتله ، وهو يقود السيَّارة .

هتف (شوقى) فى شحوب :

ــ هذا لا يَعْنى شيئا ، فمن الطبيعى أن يفتح السارق باب الجراج الخارجى ، حتى يمكنه أن يفرّ بالسيَّارة على الفور .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

ــ إنه لن يفعل هذا قبل إدارة المحرّك .

صاح (شوقى) فى توتُّر :

ــ بل سيفعل ، خشية أن يوقظ صوت المحرّك أحدنا ، فيعجز عن سرقة السيَّارة ، لو أن باب الجراج مغلق فى وجهه .

أدرك (عصام) صحة هذا المنطق ، فعقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى حِدَّة :

ــ فليكن .

ثم أسرع يقول فى حَنَق :

ــ إنه ، ولهذا السبب نفسه : لن يعمد إلى الهرب ، عن طريق باب الجراج الداخلى ، الذى يقود إلى داخل (القيلًا) ، بعد أن ارتكب جريمته .. فلو أن صوت الحادث قد أيقظ سكّان (القيلًا) ، فسيَعْنى هذا أنه يلقى بنفسه فى فم الأسد ، ولو استخدم هذا الباب بالذات للفرار ، إلا إذا ....

بتر عبارته فجأة ، واكتسى صوته بمزيج من الغضب والصرامة ، وهو يستطرد :

ــ إلَّا إذا كان داخل (القيلًا) هو أكثر الأماكن أمنًا بالنسبة له .

شحب وجه (شوقى) وصوته إلى أقصى حدّ ، وهو يغمغم :

ــ ماذا تَعْنى ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى حزم :

ــ هذا يعنى ــ فى وضوح ــ أن القاتل هو أحد سكّان (القيلًا) ياسيِّد (شوقى) .

صاح (شوقى) فى ذُعر :

ــ كلَّا .. إنكم .. إنكم مخطئون .

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه نفيًا فى بطء ، وقال فى حزم :

ــ كلَّا يا أستاذ (شوقى) .. أنت المخطئ .. إن القاتل هو أنت أو ....

وأدار عينيه إلى أبناء (شوقى) ، الذين ظهر الارتياع على وجوههم فى وضوح ، وهو يستطرد فى صرامة :

ــ أو أحد هؤلاء .

تبادل الأبناء نظرات تمتلئ بالذعر والجَزَع ، وسالت الدموع من عينى (لبنى) فى غزارة ، وأجهش شقيقها الصغير (سامح) بالبكاء ، وهو يدفن وجهه فى صدرها ، فى حين غمغم (شوقى) فى صوت أقرب إلى البكاء :

ــ لا يمكنك اتهام أحدنا .

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء صارم :

ــ بل يمكننى يا سيِّد (شوقى) .

وعاد يستدير إلى الأبناء ، مستطردًا فى حزم :

ــ ينبغى أن تعلموا جميعًا أن الاتهام فى هذه الحالة هو القتل الخطأ ، وعقوبة ذلك قد تقتصر على التعويض المادىّ ، أو السجن لفترة قصيرة ، وقد يراعى القاضى ظروف المتهم ، فيوقف تنفيذ الحكم .

وصمت لحظة ، ثم استدرك فى صرامة :

ــ هذا ينطبق على السيِّد (شوقى) و(أيمن) بالطبع ؛ لأن كليهما يحمل ترخيصًا بالقيادة ، أما لو كان القاتل هو ....

قاطعه (شوقى) فى صوت مرير :

ــ لا داعى أيها العقيد .. إننى أعترف .

التفت إليه العقيد (خيرى) ، وهو يهتف فى ظفر :

ــ تعترف ؟!

أطرق الرجل بوجهه أرضًا ، وهو يقول فى ألم وحزن :

ــ نعم . أعترف .. أنا قاتل (شرطىّ المرور) .

وأطلقت (لبنى) صرخة ملتاعة ، ثم هوَت فاقدة الوَعْى ..

★ ★ ★

٨ ــ البرىء ..

انتهى (عصام) من رواية كل ما حدث ، على مسامع (عماد) و(عُلا) ، حتى انتهى إلى لحظة اعتراف (شوق) ، وإلقاء القبض عليه ، ثم تنهّد ، وهو يقول فى أسف :

ــ وهكذا انتهت قضية (شرطىّ المرور) ، وبقدر رغبتى خلالها فى البحث عن قاتل عمّ (سليمان) ، إلا أننى شعرت بأسف بالغ ، حينما اعترف (شوق) ، وعندما صرخت ابنته (لبنى) ، وسقطت فاقدة الوَعْى ، فهى فتاة رقيقة الحس ، لم أكن أحبّ أبدًا أن أسبّب لها كل هذا الحزن .

تبادل (عماد) و(عُلا) واحدة من نظراتهما الغامضة ، ثم قالت (عُلا) فى خفوت :

ــ أعتقد أن اعتراف الأستاذ (شوق) يحسم القضية ، ولكنه لا ينهيها يا أستاذ (عصام) .

تطلّع إليها (عصام) فى دهشة ، وهو يقول :

ــ وما الفارق ؟

أجابه (عماد) :

ــ (عُلا) تقصد أن اعتراف الأستاذ (شوق) يحسم أمر القاتل ، ويؤكّد أنه أحد أبنائه ، ولكنه لاينهى القضية .

هتف (عصام) فى مزيد من الدهشة والحَيْرة :

ــ كيف ؟.. لقد اعترف الرجل بنفسه و ...

قاطعته (عُلا) فى اهتمام :

ــ معذرة يا أستاذ (عصام) .. هل لك أن تؤدّى لنا خدمة خاصة ؟

هتف فى مزيج من المرارة والدهشة :

ــ بالطبع .

أسرع (عماد) يقول :

ــ هناك سؤال واحد ، نحب أن نعرف إجابته من الأستاذ (مرسى) و (أيمن) معًا .

قلّب (عصام) كفّيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ــ أى سؤال ؟

ثم عقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى حِدّة :

ــ ألا يرضيكما اعتراف الرجل ، لمجرّد أنكما لم تتوصّلا إليه قبل ذلك ؟

ابتسم (عماد) و(غُلا) ، وتبادلا نظرتهما الغامضة المعتادة ، قبل أن تقول (غُلا) فى هدوء :

ــ كلَّا يا أستاذ (عصام) .. إننا نسعى لإثبات العكس .

هتف فى حَنَق :

ــ عكس ماذا ؟

أجابه (عماد) فى بساطة :

ــ عكس ما حدث .

وأكملت (غُلا) :

ــ إننا نسعى إلى إثبات أن (شوقى) برىء ..

* * *

« نعم .. برىء وكلنا نعلم ذلك » ..

صاحت (لبنى) بهذه العبارة فى سخط ، من بين دموعها المنهمرة فى غزارة ، وشاركها (سامح) بكاءها فى حرارة، فى حين تبادل (أيمن) و(وائل) نظرة مفعمة بالحزن والمرارة ، واطرق (وائل) برأسه ، فى حين غمغم (أيمن) :

ــ نعم يا (لبنى) .. كلنا نعلم ذلك ، ولكن والدنا اختار هذا الحل ، ليحمى ....

قاطعته فى ألم :

ــ لقد ضحَّى بمستقبله وسمعته .

غمغم (وائل) فى مرارة :

ــ (لبنى) .. أرجوك .

صاحت به فى حِدَّة :

ــ ولماذا ترجونى أنا ؟

هتف بها (أيمن) فى صرامة :

ــ كفى يا (لبنى) .. كلنا نعلم لماذا فعل والدنا هذا ، وأنت بالذات تدركين عظمة تضحيته ، وتوافقين عليها فى قرارة نفسك .

شحب وجهها ، وهى تغمغم فى ارتياع :

ــ ولكنه برىء .

أجابها شقيقها فى حزم :

ــ هل تحبِّين أن أذهب إلى العقيد ، وأشرح له ذلك ؟.. هل يمكنك تحمُّل النتائج ؟

اتسعت عيناها فى ذُعر وارتياع ، ثم خفضت رأسها ، وهى تغمغم فى مرارة :

ــ كلَّا .. لا يمكننى ذلك .

زفر (أيمن) فى حَنَق ، وتطلَّع إلى شقيقه (وائل) ، الذى

هتف بها (أيمن) فى صرامة :

ــ كفى يا (لبنى) .. كلنا نعلم لماذا فعل والدنا هذا ..

يطرق برأسه فى ألم ، وإلى (لبنى) ، التى بدت أقرب إلى الانهيار ، ثم إلى (سامح) ، الذى دفن وجهه فى صدرها ، وهو يبكى فى حرارة ، ثم رفع عينيه إلى السماء ، وهم يغمغم :

ــ فلنترك لوالدنا حقَّ التصرُّف إذن ، ولنطلب رحمة الله (سبحانه وتعالى) فهو وحده صاحب الأمر والقرار .

* * *

كان الأستاذ (مرسى) يهمّ بإغلاق مكتبته الصغيرة ، حينما أوقف (عصام) سيَّارته إلى جواره ، وهبط منها ، وهو يقول :

ــ لحظة يا أستاذ (مرسى) .. لدىَّ سؤال واحد لك .

تطلَّع إليه (مرسى) ، لحظة ، ثم قال فى هدوء :

ــ ألم تنته أسئلتك بعد يا أستاذ (عصام) ؟

غمغم (عصام) فى ضيق :

ــ إنه سؤال واحد فحسب .

تنهَّد (مرسى) ، وقال فى استسلام :

ــ سَلْ ما بدا لك .

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول فى اهتمام :

ــ حينما أخبرت الأستاذ (شوقى) بأمر مصرع (شرطىّ المرور) أبدا فَزِعًا ، أم أنه استقبل الأمر فى هدوء ؟

هزَّ (مرسى) كتفيه ، وقال :

ــ بل لقد ذُعِرَ للغاية ، حينما أخبرته بالأمر ، وكان انفعاله طبيعيًا .

سأله (عصام) :

ــ وماذا كان يرتدى حينذاك ؟

ابتسم (مرسى) ، وقال :

ــ هذا هو السؤال الثانى يا أستاذ (عصام) .

غمغم (عصام) فى ضيق :

ــ يمكنك اعتباره السؤال الأساسى .

أومأ (مرسى) برأسه ، وقال :

ــ كان يرتدى منامته .

سأله (عصام) فى لهفة :

ــ هل أنت واثق ؟

عقد الرجل حاجبيه ، وهو يقول :

ــ تمام الثقة .

تنهَّد (عصام) فى ارتياح ، وهو يقول :

ــ شكرًا لك .. هذا يكفى .

ثم اتجه فى خطوات سريعة نحو (الڤيلَّا) ، وتابعه

(مرسى) بعينيه ، وهو يقرع جرس الباب ، ثم هزَّ رأسه ، وغمغم فى ضيق :

ــ يالرجال الصحافة !!

وفى نفس اللحظة فتح (أيمن) باب (الڤيلَّا) ، وانعقد حاجباه فى غضب ، حينما وقع بصره على وجه (عصام) ، وقال فى حِدَّة :

ــ ماذا تريد ؟.. ألا يكفيك ما حدث ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

ــ لقد جئت لتصحيح الأمور .

هتف به (أيمن) فى غضب :

ــ أيَّة أمور ؟.. لقد سُجِنَ والدنا !

أجابه (عصام) فى صرامة :

ــ إنه لم يُسجن بعد ، فليس من المنطقى أن يُعاقب على جريمة لم يرتكبها .

حدَّق (أيمن) فى وجهه بذهول ، وهو يقول فى اضطراب :

ــ جريمة لم يرتكبها ؟!.. ماذا تعْنى ؟

أجابه (عصام) فى سرعة :

ـ دَعْك من ذلك ، وأخبرنى ، ماذا كان يرتدى والدك ، حينما وجدته خارج حجرتك ، بعد سماعك لصوت محرّك السيّارة هذا الصباح ؟

تطلّع إليه (أيمن) فى حَيْرة ، وغمغم :

ـ كان يرتدى منامته بالطبع ، فقد كان الوقت مبكّرًا .

سأله (عصام) فى انفعال :

ـ هل أنت واثق ؟

أجابه (أيمن) وقد تضاعفت دهشته وحَيْرته :

ـ تمام الثقة ، فلو أنه كان يرتدى ثيابه ، فى مثل هذا الوقت ، لأدهشنى ذلك ، ولتذكّرته بالطبع .

تنهّد (عصام) ، وقال :

ـ شكرًا يا (أيمن) ، هذا كل ما كنا نودّ معرفته .

أمسك (أيمن) بذراعه ، وهو يقول فى قلق :

ـ ما الذى تسعى إليه ؟

تنهّد (عصام) مرّة أخرى ، وقال :

ـ البراءة يا (أيمن) .. براءة والدك ، ومعرفة قاتل (شرطىّ المرور) الحقيقىّ .

* * *

٩ ـ الحقيقة ..

لم يكد (عماد) و(غُلا) يستمعان إلى ما أتى به إليهما (عصام) ، حتى تألّقت عيونهما فى ظفر ، وهتفا فى آن واحد :

ـ هل رأيت يا أستاذ (عصام) ؟.. إنه برىء .

غمغم (عصام) .

ـ نعم .. لقد أقنعتمانى بذلك ، ولكن من القاتل الحقيقى ، الذى يحاول أن يحميه ؟

أسرعت (غُلا) تقول :

ـ سأخبرك يا أستاذ (عصام) .. سأخبرك من هو .

استمع إليها (عصام) فى اهتمام ، إلّا أن الدهشة لم تلبث أن سَرت فى ملامحه ، واختلط بها الجَزَع ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !! ولكن هذا مؤلم للغاية .

أومأ (عماد) و(غُلا) برأسيهما إيجابًا ، وغمغم (عماد) فى أسف :

— هذا صحيح ، ولكنها الحقيقة يا أستاذ (عصام) .

دفن (عصام) وجهه بين كفيه ، وهو يقول فى حزن :

— يا إلهى !!.. يا إلهى !!

رَانَ الصمت تمامًا على ثلاثتهم ، واختلط بحزنهم وأسفهم ، حتى رفع (عصام) عينيه الحزينتين ، وهو يقول :

— هل تظنَّان أنه من الأفضل ذكر الحقيقة ؟

أجابته (عُلا) فى حزن :

— بلا شك يا أستاذ (عصام) ، فكتمان الشهادة إثم .

أومأ برأسه موافقًا ، وغمغم وهو ينهض فى حزن :

— يالله من يوم طويل كالدهر ، بدأ وانتهى بأحزان لاحصر لها !!

غمغم (عماد) :

— إنه القدر .

أومأ (عصام) برأسه إيجابًا ، ورفع عينيه إلى السماء ، وهو يقول :

— نعم . إنه القدر .

* * *

بدت (لبنى) شديدة الاضطراب ، وهى تقول لـ (أيمن) :

— وماذا يَعْنيه سؤاله هذا ؟.. هل تظن أنه قد توصَّل إلى الحقيقة ؟

هزَّ كتفيه فى حَيْرة ، وهو يقول فى قلق وتوتُّر :

— لست أدرى ، ولكن تاريخ الأستاذ (عصام كامل) حافل بانتصارات مذهلة ، فى عالم الألغاز البوليسية .. إن تحقيقاته كانت تبدو لى دومًا أقرب إلى الخيال ، ولم أتصوَّر أن أصْبح جزءًا منها ذات يوم .

ارتجف صوتها ، وهى تقول :

— هل تَعْنى أنه سيتوصَّل إلى الحقيقة ؟

اضطرب صوت (وائل) ، وهو يغمغم فى هلع :

— كلَّا .. كلَّا .. إنه لن يفعل .. أليس كذلك يا (أيمن) ؟

تطلَّع (أيمن) إليهما فى إشفاق ، ثم غمغم :

— فَلْنَدعُ الله ألا يفعل .

ولكنه فى قرارة نفسه ، كان يشعر أن (عصام) سينجح ، وأنه سيضع نهاية لقضية (شرطى المرور) ، قبل أن ينتصف الليل ، وتعلن الساعة انتهاء اليوم ..

ويالله من يوم !!

* * *

رفع (شوقى) عينيه إلى (عصام) فى حزن وإحباط ، وهو يقول :

ــ ماذا تريد أيها الصحفىّ ؟.. لقد اعترفت ، وهذا يكفى .

غمغم العقيد (خيرى) :

ــ إن (عصام) لم يقنع باعترافك ياسيِّد (شوقى) .

عقد (شوقى) حاجبيه ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ قلت لك إننى أعترف ، والاعتراف هو سيِّد الأدلَّة ، حسبما يقول رجال القانون .

ابتسم (عصام) فى إشفاق ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح ، ما لم تدحضه الأدلَّة ياسيِّد (شوقى) .

امتقع وجه (شوقى) ، وهو يقول فى اضطراب :

ــ أيَّة أدلَّة .

جذب (عصام) مقعدًا ، وجلس إلى جوار (شوقى) ، وهو يقول فى عطف :

ــ الأدلَّة التى هدمت اعترافك من أساسه ياسيِّد (شوقى) .

وصمت وهلة ، ثم استطرد فى هدوء وإشفاق :

امتقع وجه (شوقى) ، وهو يقول فى اضطراب :
ــ أيَّة أدلَّة ..

ـ لقد كذبت حينما قلت إنك أنت القاتل يا أستاذ (شوقى) .. فلو أنك أنت الذى كنت تقود السيَّارة ، ما أثار ذلك دهشة (شرطىَ المرور) وجزعه ، وما هتف بأن هذا خطأ ، ولا اندفع محاولاً إيقاف السائق ، وهو يستطرد مؤكِّدا عدم إمكانه فعل ذلك .. ثم إن الرجل الذى يذهب ليقود سيارته ، يرتدى عادَة ثياب الخروج ، أما أنت فقد رآك ابنك (أيمن) فى منامك ، قبل أن يخبرك (مرسى) بوقوع الحادث ، وكذلك رآك (مرسى) بالمنامة ذاتها ، حينما فتحت له الباب ، وأخبرك بمصرع (سليمان) .. والوقت المنقضى ما بين الحادث ، ورؤية عم (مرسى) لك ، لم يكن يسمح لك باستبدال ثيابك .. وعلى الرغم من ذلك ، فلقد أسرعت تمحُو البصمات من فوق عجلة القيادة ؛ لتحمِى القاتل ، الذى هو فى الواقع أحد أبنائك .

غامت عينا (شوقى) بالدموع ، وهو يقول فى جَزَع وتخاذُل :

ـ كلَّا .. كلَّا .. هذا غير صحيح .

تجاهل (عصام) هذا الاعتراض الواهى وهو يستطرد فى عطف :

ـ السؤال إذن هو مَنْ ؟.. مَنْ مِنْ أبنائك قتل (سليمان) ، وتحاول أنت حمايته باعتراف كاذب ؟

سالت الدموع من عينى (شوقى) ، وهو يهتف :

ـ اترك أبنائى لمستقبلهم .. أرجوك .

مرَّة أخرى تجاهل (عصام) هذا الرجاء ، على الرغم مما فعله فى قلبه ، ومما تركه فيه من حزن ومرارة ، وأردف فى أسف :

ـ إنه ليس (أيمن) بالتأكيد ؛ لأنه اعتاد قيادة السيَّارة ، واعتاد عمّ (سليمان) رؤيته يفعل .. وهو ليس (وائل) أيضًا ، لأن عم (سليمان) لم يكن يعلم أنه لا يملك ترخيصًا بالقيادة .

انهمرت دموع (شوقى) فى غزارة ، واستمع فى استسلام إلى (عصام) ، وهو يتابع :

ـ ولو أن (لبنى) هى التى كانت تقود السيَّارة ، ما اعترض عمّ (سليمان) أيضًا ، فهو لن يعلم أبدًا أنها تخشى القيادة ، ولكن مبعث اعتراض عمّ (سليمان) هو أن الشخص ، الذى كان يجلس خلف عجلة القيادة جينذاك ـ كان من المستحيل ، ومن الخطإ أن يقود سيَّارة ، أيَّة سيارة ؛ لأنه كان أصغر من أن يفعل .

وتنهَّد (عصام) ، قبل أن يقول فى حزن :

ــ لقد كان هذا الشخص هو (سامح) .

اتسعت عينا العقيد (خيرى) ، وهو يهتف فى ذهول :

ــ (سامح) ؟!..

تفجَّرت الدموع فى غزارة من عينى (شوقى) ، وبدأ ينتحب فى صوت مسموع ، على حين قال (عصام) فى حزن وأسف :

ــ نعم .. (سامح) .. إنه مثل كل الأطفال ، يتلهَّف على قيادة سيارة والده .. وفى هذا الصباح استيقظ مبكِّرًا ، وتسلَّل إلى حجرة والده ، وسرق مفاتيح السيارة ، ثم اتجه إلى الجراج ، دون أن يشعر به أحد .. وهناك فتح بابه الخارجى ، كما يفعل والده كل صباح ، وجلس خلف عجلة القيادة ، وأدار المحرِّك ..

وهنا رآه عمّ (سليمان) ، فتسمَّر فى مكانه ، واتسعت عيناه فى دهشة وذُعر ، ثم لم يلبث أن هُرِعَ إليه ، وهو يهتف « كلَّا .. هذا خطأ » ، وكان يَعْنى أنه من الخطإ أن يحاول طفل فى العاشرة قيادة سيارة ، وحينما أردف : « لا يمكنك ذلك » ، كان يَعْنى أن الأطفال غير مرخَّص لهم بالقيادة : ولكن

(سامح) أصابه الفزع ، حينما رأى عمّ (سليمان) يعدُو نحوه ، وأيقن أنه قد كشف أمره ، فحاول أن يوقف السيَّارة ، إلَّا أنَّ اضطرابه جعله يضغط دوَّاسة الوقود ، بدلًا من الكماحة ، فاندفعت السيَّارة نحو (سليمان) وصدمته ..

وامتلأ قلب (سامح) بالرُّعب ، فغادر السيارة ، وترك مفتاح التشغيل داخلها ، وأسرع يعبُر الباب الجانبى للجراج ، إلى داخل (الڤيلَّا) ، وهنا التقى بوالده ، ، الذى أسرع إلى هناك ، حينما تناهَى إلى مسامعه صوت الاصطدام .. ولمَّا سمع الوالد القصة من فم ابنه الصغير ، أصابه الرُّعب بدوره ، فحاول حماية ابنه ، وطلب منه أن يعود إلى حجرته .. وعندما حاول أن يذهب إلى حجرته بدوره ، رآه ابنه الأكبر (أيمن) وسأله عمَّا حدث ، فأخبره بأنه لم يحدث شىء ، وطلب منه العودة إلى حجرته ، وبعدها قرع جرس الباب ، فهبط الوالد ليرى من الطَّارق ، وكان الأستاذ (مرسى) ، الذى أخبره بما حدث ..

ومن الضرورى أن أذكر أن الأستاذ (شوقى) قد أصيب بفزع حقيقى ، حينما علم من (مرسى) أن (سليمان) قد لقى مصرعه ، فقد كان يتصوَّر أن الأمر لن يعدُو مجرَّد إصابة

وامتلأ قلب (سامح) بالرُّعب ، فغادر السيارة وترك مفتاح التشغيل داخلها ، وأسرع يعبُر الباب الجانبى للجراج ..

عاديَّة ، يمكن علاجها .. ولقد دفعه فزعه إلى محاولة حماية ابنه ، ومسح بصماته من فوق عجلة القيادة ، دون أن ينتبه إلى أن (مرسى) قد لاحظ ذلك ..

وعندما رأى أننا نقترب من الحل ، وأن ابنه سيُكشف أمره ، بادر باعتراف كاذب يدينه ، ويبعد الاتهام عن ولده ، حماية لمستقبله .

رانَ صمت ثقيل ، بعد أن انتهى (عصام) من حديثه ، ثم غمغم العقيد (خيرى) فى حزن :

ــ أهذا صحيح يا أستاذ (شوقى) ؟

تفجَّرت الدموع من عينى (شوقى) فى غزارة ، وهو يقول :

ــ اتركوا ولدِى .. إنه صغير .. لا تحطِّموا مستقبله من أجل خطإٍ كهذا .. لقد كان يجهل عواقبْ فعلته .. خُذونى أنا .. سأدفع أنا الثمن ..

ارتفع نحيبه يشقّ السكون ، ويشقّ قلبيهما ، واختلطت دموعه بأسفهما وحزنهما ، وأُسدلت النهاية على الفصل الأخير من اللُّغز .

.. لغز مصرع (شرطىّ مرور) .

* * *

١٠ ــ الختــام ..

طالع رئيس قسم الحوادث التحقيق الذى كتبه (عصام) ، عن قضيّة (شرطى المرور) ، وقرأ كل حرف فيه بإمعان شديد ، ثم وضعه أمامه ، وهو يقول لـ (عصام) :

ــ تحقيق عجيب يا (عصام) ، إنه من أغرب التحقيقات البوليسية التى كتبتها .

غمغم (عصام) :

ــ وأكثرها إيلامًا للنفس .

تجاهل رئيس القسم هذه الملحوظة ، وهو يستطرد :

ــ من العجيب أن يقود البحث عن قاتل شرطى مرور إلى كشف عصابة للاتجار فى المخدّرات .

عاد (عصام) يغمغم :

ــ لقد جاء هذا بضربة حظّ .

لوّح رئيس القسم بكفّه ، وهو يقول :

ــ إننى لا أومن بكلمة الحظّ هذه .. إنه توفيق من الله (سبحانه وتعالى) .

تمتم (عصام) فى حزن :

ــ هذا صحيح .

عقد رئيس القسم حاجبيه ، وهو يميل نحوه ، ويسأله :

ــ ماذا بك ؟.. إنك تبدو حزينًا مهمومًا .

تنهَّد (عصام) فى عمق ، حتى بدت تنهيدته وكأنها تأتى من أعمق أعماق قلبه ، قبل أن يقول :

ــ كنت أتمنَّى أن نفشل فى حل هذه القضية بالذات .

سأله رئيسه :

ــ بسبب إدانة الصبىّ .

أومأ برأسه إيجابًا ، فابتسم رئيس القسم فى إشفاق ، وهو يقول :

ــ لقد ارتكب جريمة بالفعل .

تنهَّد (عصام) مرة أخرى ، وغمغم :

ــ ولكنه أصغر من أن يتلقَّى عقابها .

اعتدل رئيس القسم فى مقعده ، وهو يقول :

ــ وماذا عن الطرف الآخر ؟

سأله (عصام) فى حيْرة :

ــ أى طرف ؟

أجابه رئيسه فى حزم :

ـ أسرة شرطىّ المرور القتيل .

تمتم (عصام) فى ضيق :

ـ لقد لِقى مصرعه بالفعل ، وعقاب الصغير ، وضياع مستقبله لن يعيداه إلى الحياة .

أجابه رئيسه فى صرامة :

ـ عقاب المخطئ ضرورة حتمية ، فى كل القوانين والشرائع السماوية يا (عصام) .

قال (عصام) فى مرارة :

ـ حينما يبلغون السِّن التى تستدعى ذلك .

مطَّ رئيس القسم شفتيه ، وتأمَّل كل الحزن الذى يملأ وجه (عصام) ثم انحنى نحوه ، وقال فى صوت حازم :

ـ اسمع يا (عصام) .. من المؤلم حقًّا أن يعاقب صبىٌّ صغير ، على جريمة قتل ، لم يقصد ارتكابها .. ولكن تطبيق القانون هو الذى يمنع مثل هذا الصبىّ ، من إتيان العمل ذاته فيما بعد ، وهو الذى يعيد إلى أسرة القتيل احترامها للقيم والمجتمع .. ولقد أخطأ الصبى بالفعل .. أخطأ حينما سرق مفاتيح السيَّارة من والده ، وحينما حاول قيادتها من خلف

ظهره ، وهو فى الحالتين يستحق العقاب ، أما عن نوعية العقاب ذاته ، فسيحدِّدها القضاء ، وعليك أن تثق فى عدالة هذا القضاء ، فهو وسام على صدر العدالة فى مصر .

أومأ (عصام) برأسه موافقًا ، وقال فى حزن :

ـ إننى أومن بكل ذلك تمامًا يا سيِّدى ، ولكننى لا أستطيع أن أمنع نفسى من الحزن على مصير صبى صغير ، ما زالت الحياة أمامه .

وصمت وهلة ، ثم استدرك :

ـ ولقد دفع والده تعويضًا ماليًّا ضخمًا لأسرة (سليمان) .

رانَ عليهما الصمت مرَّة أخرى ، ثم غمغم رئيس القسم :

ـ إن الصبىَّ لن يُودع فى السجن على أيَّة حال ، فهو لم يبلغ السِّن القانونية بعد .

زفر (عصام) ، قبل أن يقول :

ـ ولكنه قد يوضع فى إحدى مؤسسات الأحداث .

هزَّ رئيسه كتفيه ، وقال :

ـ هذا يتوقَّف على ما سيراه القضاة ، وقد يقتصر الأمر على وضعه تحت الملاحظة ، أو إصدار حكم بمراقبته لعام أو عامين .

وعاد يهزّ كتفيه ، قبل أن يستطرد :

ـ وهو يستحقُّ العقاب على أيّة حال ، لعدم طاعة والده على الأقل .

ثم مال نحو (عصام) ، يسأله فى اهتمام :

ـ ما رأى (عماد) و(عُلا) فى هذا الأمر ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة مريرة ، وقال :

ـ إنهما يؤمنان بضرورة معاقبته ، ما دام قد أخطأ ، على الرغم من أنهما مثلى ، حزينان من أجله .

ابتسم رئيس القسم ، وهو يقول :

ـ كم أشعر بالإعجاب تجاه هذين الصغيرين ، إنهما ـ على الرغم من صغر عمريهما ـ يملكان عقلين رائعين ، وحكمة يحسدهما عليها الكبار .

وتنهَّد ، قبل أن يستطرد فى حماس :

ـ إنهما يستحقان ـ عن جدارة ـ حمل لقب (ع × ٢) .

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع/ ٣٥٤١

مغامرات ٤ × ٢

سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناشئين تنشط العقل وتنمي الفكر والذكاء..

المؤلف

د. نبيل فاروق

قضية شرطي المرور

- شرطي مرور يلقى مصرعه فجأة، تحت عجلات سيارة، في وضح النهار، وفي وجود عشرات الشهود، وعلى الرغم من ذلك لا يعلم أحد من قتله.. ولماذا؟
- تُرى.. كيف يحل فريق (٤×٢) لُغز هذه القضية الجديدة..؟
- اقرأ التفاصيل، وحاول أن تسبق الفريق إلى حلّ اللُّغز.

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
١٠ ش وهبة مسلم - العباسية - القاهرة - ت ٤٨٥٥٥٥٩

الثمن في مصر ٧٥ قرشًا
وما يعادل دولارًا أمريكيًا
في سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم

(قضية الجريمة الوهميَّة)